الأستاذ الدكتور عبد الصبور مرزوق

يعيش العقل العربى والاسلامى المعاصر أزمة العجز من ضبط نشاطه العلمى والحياتى على القبلة الصحيحة، التى عرفها أسلافنا بفطرتهم وفقههم الدقيق لمعطيات النص القرآنى، فاسهموا بذلك فى خدمة النهضة العلمية، التى لم يكن يملكها ولم يتهيأ لها بناة عصر النهضة الأوربية إلا بعد وقوفهم على جهد ونتاج علمائنا المسلمين فى مختلف فروع المعرفة من أمثال ابن سينا، والرازى، وابن النفيس، وابن الهيثم والكاشى وغيرهم من أولئك الأعلام الذين كانوا يضبطون فكرهم على القبلة الصحيحة التى لا تتجزأ عندها المعرفة، ولا يجوز عندها تقسيم الإهتمام بين ما هو من علوم الدنيا، وما هو من علوم الدين، وإنّما تأخذ الكُلّ بمنهاج واحد.. تكون فيه علوم الدنيا خادمة لعلوم الدين وصانعة للإيمان.. كما تكون فيه علوم الدين هادية ومرشدة لعلوم الدنيا، وضابطة لنشاطاتها على معايير الأخلاق والقيم وتحقيق الخير للإنسان، بما يكفل لها الهدى والرشد، ويحمى العلماء من غرورهم، بل ويحملهم على استصغار كل ما يحرزونه من نتائج مهما تكن أهميتها ماداموا يؤمنون بانه ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ فيواصلون المسيرة ولا تنقطع بهم الطريق.

وفى ظل هذا التكامل بين علوم الدين وعلوم الدنيا فى اكتساب المعرفة كان من المألوف لدى سلفنا العظيم من العلماء أن يصلى العالم منهم الصلاة المفروضة فى المسجد، ثم ينفلت إلى معمله أو مختبره أو مرصده ليؤدى صلاة من نوع آخر فى محاريب البحث والتجريب.. ومحراب العلم عندهم هو ومحراب المسجد سواء. ولهذا أبدعوا وأنتجوا وتركوا - فى تاريخ العلم والحضارة - آثارهم عظيمة وشامخة فتحت أمام عصر النهضة كل معالم الطريق.

لكن هذه التكاملية فى طريق اكتساب المعرفة لم تتصل، بل تعرضت كما تعرضت الدولة الإسلامية لحالة من الجزر السياسى والثقافى والاجتماعى والعلمى، وبلغت الأزمة ذروتها فى القرنين التاسع عشر والعشرين حيث بات العطاء العلمى فى ديار العرب والمسلمين عالة على الآخرين من الغربيين.

وبدل أن تكون المعرفة شاملة علومى الدين والدنيا، حدث الانفصام الحاد بينهما، وظهرت الثنائية التى مالت بثقلها إلى علوم الدين، وكان لعلوم الدنيا أقل نصيب.

وشاءت إرادة الله أن يقيض لامتنا العربية والمسلمة فى النصف الأخير من القرن العشرين نفراً من العلماء أولى العزم انتبهوا إلى مكمن العلّه فحاولوا انهاء حالة الانفصام بين علوم الدين وعلوم الدنيا، وحاولوا من جديد إعادة وتأكيد الوشائج بينهما والعودة إلى التكاملية فى اكتساب المعرفة.

فاتجهوا إلى آيات الله فى الكون المنظور يدرسون إعجاز الخالق فيها - ويضعون بين أيدى المسلمين الفقه الصحيح لها ليكون ذلك مقدمة لفقة آيات الله فى الكتاب المسطور، استلهاماً لإشارة القرآن فى أول كلماته إلى الرسول ﷺ فى غار حراء، والتى انفتحت بها سورة (العلق).. ﴿إقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق، إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم﴾.. حيث قُدّم الأمر بالقراءة فى كتاب الكون المنظور على قراءة الكتاب المسطور.

وكان من الرعيل الأول لهذه النهضة أو لحركة الاحياء التصحيحية هذه المرحوم الدكتور محمد أحمد الغمراوى، والدكتور عبد العزيز إسماعيل، والدكتور عبد الفتاح إسماعيل، والدكتور عبد الحليم منتصر، والدكتور أحمد زكى، ثم الدكتور جمال الفندى.. وغيرهم من الدين يصدق فيهم قول الله سبحانة وتعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ فاطر ٢٨.

وهاهو الأستاذ الدكتور عبد الهادى ناصر - الذى تلقى درجاته العلمية العليا من الاتحاد السوفيتى يوم كان ذلك الاتحاد معقل الإلحاد والفكر المنحرف..

هاهو يطالعنا مُستحصِد الإيمان شامخ اليقين تهديه بصيرته العلمية الشفافة إلى مواطن الإبداع والإعجاز فى كل صنائع الخالق، فيخطو بشموخ على درب أولئكم الرواد العمالقة، يزاحم بمنكبيه ليقول لنا ولهم: (اقرأوا كتابيه)..

وكتابه هذا سفر علمى ضخم يقع فى جزأين كبيرين:

أولهما عن الكون فى القرآن.

والثانى عن الإنسان فى القرآن.

ولست أعدو الحقيقة إذا قررت أن جهد المؤلف فيهما هو جهد موسوعى كبير استغرق ست سنوات من الاستقصاء والحصر والتبويب والترتيب.

وأهم عِندى من الوفرة الكمية فى مواد البحث وفروعة، تِلكُم السباحة فى بحار الإيمان التى يكشف عنها قوله:

(إن التعرض للكتابة فى آيات النظر الكونية القرآنية - مغامرة وجرأة. الذلل فيها ليس بالخطأ، لكنه الخطيئة.. ورجفة الكتابة فى هذا المجال تفقد القلم وصاحبه جرأة وجسارة الإقدام.. فإتمام هذه الأعمال من نافذة قرآنية يحتاج إلى إمكانات أمة وجهود كل رجالها.. إستنهاضاً لحضارة تليق بشرف الانتماء إلى الإسلام. وحسبى بهذا الجهد تبسيط وتجسيد ومحاولة فهم آيات النظر القرآنية، ونقلها إلى جمهور الناس من المسلمين وغير المسلمين).. ص ٢٠ من المقدمة.

ومما يجدر التنويه به هنا ذلك الإدراك الواعى للمؤلف بأن عمله هذا على ضخامته وجلاله ليس ولن يكون تفسيراً للقرآن الكريم، وهو بهذا يُجنب نفسه خطر الوقوع فيما سقط فيه بعض المشتغلين بمثل هذه البحوث حين زعموا أنهم يقدمون تفسيراً علمياً أو عصرياً للقرآن الكريم فتراه يقول لابنته: (لا يا بنيتى! هذا ليس بكتاب تفسير للآيات الكونية، فهذا شأن له أهله، وأصوله، ومعارفه، وفقهاؤه.. وهو ليس بكتاب تخصص في علم الحياه.. جغرافيا، فلك، رياضة، هندسة، زراعة، بحار، تشريح، أجنة، طب.. فهذه فروع لها معارفها ومناهلها وفقهاؤها أيضاً.. وهذا العمل يا بنيتى! هو أقرب ما يكون للتبويب الموضوعى لآيات النظر فى القرآن وفى الحياة قديمها وحديثها ومستقبلها).

تقديراً وتحية للأخ الأعز الدكتور عبد الهادى ناصر.

وأسأل الله أن يجعل فى ميزان حسناته هذا العمل العلمى العظيم.

والله من وراء القصد وهو حسبنا،،

دكتور عبد الصبور مرزوق

٢٢ من رمضان ١٤١٤ هـ مارس ١٩٩٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــــديم الأستاذ الدكتور ابراهيم البطاوى

بقراءتى ومراجعتى لكتاب نظرات فى الكون والقرآن - مدارسة علمية ايمانية للأستاذ الدكتور/ عبدالهادى ناصر نائب رئيس جامعة المنوفية خرجت بمحصلة أن للقرآن الكريم ثلاثة مظاهر أو تجليات وجودية:

١- المظهر الأول هو القرآن - كلام الله الحاكم للوجود بأسره، المعبر عن حكمة الخالق فيما خلق، وعن غاية هذا الوجود وأسراره، ودستوره، وقوانينه الكونية التى تحكم جميع الكائنات ما ظهر منها وما خفى، وتحدد الوسائل المثلى للإستثمار السليم لأنعم الله المسخرة للإنسان، ولضبط التعايش مع الآخرين بسلام.. تلك باختصار شديد هى شريعة الاسلام.

والقرآن بهذه المثابة هو كون الله المسطور.

٢- المظهر الثانى للقرآن - كونه مرآة للكون.. المحيط بنا، المنضبط على قوانين الوجود الالهية.. ﴿ماترى فى خلق الله من تفاوت﴾.. وَعَبَرَ القرآن عن تلك القوانين الكونية بدقة بالغة، وبتطابق مذهل للعقل بين الفعل الابداعى والقول الحكيم.. بما يجزم بالشهادة لله الخالق بالوحدانية.. ولسيدنا محمد ﷺ بالرسالة. وكما قال قائل: (وفى كل شئ له آية تدل على أنه الواحد). وجاء هذا التطابق اعلاناً بان الكون ماهو الا وجوداً ثانياً للقرآن

﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفذ البحر قبل ان تنفذ كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا﴾.

٣- ويظهر التجلى الثالث للقرآن فى النفس المؤمنة .. حين يبدأ الانسان التعامل مع أحط مراحل النفس البشرية فى النفس الأمارة بالسوء - ثم يستمع إلى قول الله تعالى: ﴿ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾.. فينكشف له الخطر فيما اقترف من آثام، ويصغى إلى دعوة الرب ﴿توبوا الى الله لعلكم تفلحون﴾.. حتى يخترق النداء شفاف القلب والعقل وسائر الاحاسيس، فتبدأ النفس اللوامة حراكها فتملأ الانسان ندماً وألماً، ويفيق راجعاً إلى صراط الله المستقيم، ويردد فى السبعة عشر ركعة المفروضة قول الله تعالى ﴿اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ فيلبى بالاجابة ﴿آمين﴾.. ويبدأ التحول من الشر إلى الخير، ومن البعد إلى القرب، ومن الضلال الى الهدى، حتى يصير قرآناً حياً تتحرك به كل جوارحه وكل جسده تنفيذاً لأوامر الله.. فتبدأ حياته السعيدة ولو مع القل والكفاف ﴿رضى الله عنه فرضى عنه﴾.. وصار يرى

نور الله فى كل كائن من الخلق، يخاطبهم بالله ويعاملهم ويتعامل معه فيهم، فهو هداه وهو رحمته لانه ﴿دائم على كل نفس بما كسبت﴾.. فهنيئاً للعاملين بالقرآن فى الدارين.. هم حقاً فى أمن وطمأنينة وصلاح بال فى الحياة الدنيا، وفى الآخرة هم فى مقام عظيم.. ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى﴾ صدق الله العظيم.

وتأخذ عند مؤلفنا الفاضل الكثير من المفاهيم مسارها السليم.. حيث بدأ يدرس ويصنف لسبع سنوات وهو الاستاذ الكبير وكأنه الطالب المجد، به حماس الشباب بعد أن عَرَكَ الحياة وطاف فى عقول عُلمائها شرقاً وغرباً، وعايش كفارها ومؤمنيها، وشرارها وكبار مصلحيها.. وكانت له نظرته الدقيقة الفاحصة، وعلمه الوفير، وخبرته الحياتية فى طول البلاد وعرضها، وكأنه الفَلَكىّ الذى يجول بمنظاره فى أرجاء الكون، وجوانب العلم والمعرفة، وفى خبايا النفس البشرية وسائر المخلوقات والتى أباحت له جميعاً ببعض أسرارها وخباياها فى تناسق الهى بديع من الذرة الى المجرة.. وهذه السيمفونية سماها كاتبنا (منظومة الكون) .. ﴿تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير﴾.

ثم أخذ مؤلفنا وراصدنا قلمه وقرطاسه وبدأ يدون مشاهداته تحت عنوان متواضع هو (نظرات فى الكون والقران - مدارسة علمية ايمانية) وهو يقول ﴿رب زدنى علما﴾ فكان هذا العمل الموسوعى الكبير الذى جمع شتات التخصصات والعلوم على مائدة القران، فحقائق كتاب الله كما يقول رائد علماء البحث فى الكونيات استاذنا المرحوم الدكتور محمد الغمراوى صاحب (سنة الله الكونية) وصاحب (الاسلام فى عصر العلم).. الناشر دار الانسان.. والمرحوم عميد كلية الصيدلة مؤكداً ان القران هو المحك لما نصل اليه من معارف يحكم لها او عليها، ومن الجهل ان نجعل فشل معارفنا العلمية غير المستقرة محكاً للقران - فنقع فى سلسلة من الباطل لاتنتهى، وأكثر الباحثين يذهبون إلى الاستدلال على عظمة الخالق بالنظر فى عظمة المخلوقات، ويستدلون على وجود الله سبحانه بوجود خلقه - فيقعون فى عيب عجيب؟! فكيف وهو الخالق الاعظم يستدل عليه بغيره؟! كما يقول الشيخ العظيم ابن عطاء الله السكندرى فى كتاب الحكم العطائية.. (بل إني وجدت العتب والتقريع في المثل الذى ضربه الله في كتابه من سورة الفرقان الآية ٤٥).. ﴿ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلا﴾ .. فجعل سبحانه الشمس هى الدليل على الظل، وليس العكس؟! لكن معارفنا محدودة، فلزوم الضوء وتدرجه دليلا على الظل!! فذلك مقام الاكابر من العلماء العارفين!!

ويقيناً حقق مؤلفنا مكاسب ضخمة للباحثين وطلاب العلم والايمان فى سفره هذا، ولكنه لايزال يطمع فى المزيد، وهكذا شأن العلماء.. ﴿وقل رب زدنى علما﴾.. فلا يستطيع العلم ان يقول كلمة تعتبر نهائية.. على حد قول السيد جيمس جينز الفلكى الانجليزى الشهير فى خاتمة كتابة القيم الممتع (الكون الغامض)؟!

ويتفرد القرآن وحده بأنه قولة الحق وكلمته النهائية، حجته وحدها داحضة لما

سواها، وكل ماخالفه من علوم او فلسفات فهو باطل. وشمل القرآن جميع جوانب الحياة والعلوم علمية كانت ام بلاغية ام كونية.. ويتحقق هذا كله فى سور القرآن الجميلة، كما قد يتحقق ذلك باللفظ الواحد!!.. فشمل حقائق تنوء بها عشرات المجلدات.. حقاً إنه لقول فصل.. وعلى سبيل المثال.. أكد القرآن ذلك كله فيما ذكره قبل أربعة عشر قرناً حيث اورد ان اصل الامطار من ماء المحيطات والمسطحات المائية، التى تتوفر فيها عوامل الحفظ والوقاية من طحالب وأملاح لحماية الكائنات الحية التى قوام حياتها الماء.. من انسان وحيوان ونبات.. وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿وجعلنا من الماء كل شئ حى﴾.. وبايجاز سريع آخر نجد أن القران سطر اصل الماء العذب على أنه من ماء الارض أياً ما كان، ومن هبوب الرياح فى عملية التبخير.. فى برزخ المرج وفصل الماء العذب الصالح للحياة من ملح وطحالب وغير ذلك ﴿مرج البحرين هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تاكلون لحماً طرياً﴾.. وذلك وغيره من حقائق عديدة جاء فى وصفه واحدة كما فى قول الله سبحانه ﴿والسماء ذات الرجع﴾.. والرجع هو المطر، صعد بالتبخير وعمليات معقدة معروفة فينزله الحق سبحانه على من يشاء، ويمنعه عمن يشاء، وصلاة الاستسقاء التى يُنَزِّلُ بها سبحانه المطر استجابة لدعوة المضطرين من المؤمنين خير شاهد على أن الله وحده المتصرف فى الكون ولا شريك له من ابن او زوجة.. سبحان الله!!

تلك المنظومة القرآنية الكونية بهرت عالِمنا الدكتور المهندس عبد الهادى ناصر المتخصص فى تصميم الماكينات وتكنولوجيا هندسة الالات والمصانع والانتاج والرياضيات وعلوم الحضارة.. حين وجد كل ما عَلِمَهُ البشر، ومالم يعلمُوه مسطوراً فى القران فبدأ يعد لنا وللاجيال القادمة نظراته فى الكون والقران والانسان فى هذه التجليات القيمة، التى شملت أغلب حقائق الوجود.. وصدق الله العظيم إذ يقول.. ﴿مافرطنا فى الكتاب من شئ﴾..

إنه توحيد بلسان عالم متحضر متخصص مؤمن.. ولا يغنى عنه كل ما وصل اليه الانسان من معارف حضارة الغرب، والتى مازالت تمتزج بخرافة الاعتقاد والالحاد المادى الرهيب؟!

وبرغم ما اتسم به الرجل من عمق وفهم دقيق ففيه تواضع العلماء من بساطة تميزه عن كثير من العاملين، حتى بسطاء الناس، ذلك انه قرأ فى منظومة القرآن الاية ﴿رب زدنى علماً﴾.. فهو لايزال يعمل ويقسو على ذاته متجاوزاً زمانه، وعقبات جسام صادفته فى الحياة فكافأه الله بهذا العطاء..

وكنت أود أن أشير الى عناصر حساسة جداً فى الموسوعة، فهى الزاد الكثير من الباحثين والشباب، ولكنى توقفت بعد ان جمعت حشداً هائلا من الحقائق والاشارات العلمية فى الكون والقران.. حتى لا احول بين قارئى من سياحات رائعة فى ارجاء الكون بين ما استطاع يجمعه مؤلفنا بين يديك عزيزى القارئ من علوم لها أصولها فى دستور الكون.. القران والسنة.. فى انجذاب صوفى محبب الى النفوس، ولكن من حقك على ياقارئى ان تعلم امرين:

أولهما ان تقنية وحضارة الاسلام وردت فى اوامر الله لكل عبد مؤمن فى مقام الاحساس، والذى اوضحه النبى ﷺ فى أوامره.. ﴿أن تعبد الله كانك تراه، فان لم تكن تراه فهو يراك﴾ .. ان تراقب الله فى كل فعل، او قول، او فكر يصدر عنك.. فتتقنه تنفيذاً لامر ربك ﴿واحسنوا ان الله يحب المحسنين﴾. ويضاف أنه على التقنية الاسلامية قامت اعظم حضارة فى تاريخ البشرية بشهادة خصوم الاسلام انفسهم بان حضارتنا تقنية لتوحيد وعدل وحق وصدق خالص.. حضارتنا مغايرة تماماً لحضارة الفحش والزنا والشذوذ وظلم الضعفاء وعبودية الشهوات.. اخذوا خير ماعندنا من تقنية لدنياهم؟! وصاغوا حضارتهم بالاستعانة بمنهج الخير والعدل منهج رب العالمين ورسوله الكريم..

أما نحن فأهملنا التعامل مع قوله سبحانه ﴿استجيبوا لله والرسول اذا دعاكم لما يحييكم﴾ وبداهة فإن حضارة الاسلام تقوم على العدل والرحمة والايثار، واداء حقوق الحياة لكل عاجز بغير عِوَض.. فى الزكاة والصدقات والبر من كل خير، والبعد عن كل شر ورذيلة.. انها الصدق الذى يتمثل في عظمة تقنية حضارة الاسلام ﴿ألا لله الدين الخالص﴾

والامر الثانى ترسخ فى ان حلول مشاكل المجتمع الصناعى لن تتأتى إلا على اساس العدل الاسلامى؟! .. حيث تمكن كثير من الباحثين والعلماء فى كل التخصصات التقنية الحضارية والمعارف الحديثة حيث تقابل فى عدة مؤتمرات جمع من متحررى الغرب من العلماء وجمع من شباب الباحثين وعلماء المسلمين وقدموا جميعاً.. وبما يشبه الاتفاق؟!.. كتباً واوراقاً وبحوثاً ووجدوا جميعاً ان القران الكريم هو الكتاب الوحيد الذى سبق كثيراً من البحوث والاكتشافات باعجازه، وقرروا انه لاخلاص للعالم الا بتحرير مسيرة الاسلام لتقدم للعالم مالديها من خير وامن ومنهج حق للسلام والانسان..!!

الصحوة بدات بين المسلمين، وبدأ جمعهم يفيق، وإن جولة الظلم لن تدوم.. فإلى المزيد من العلم والتقنية والحضارة المستمدة من خَلْق الله وتدبيره ﴿إقرأ باسم ربك الذى خلق﴾.. ﴿ألا له الخلق والامر﴾..

﴿ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز﴾..

وما كتابنا هذا الا جهداً مشكوراً بلغة التقنية والعلم والايمان على طريق حضارة الاسلام والسلام ..

د. ابراهيم البطاوى.

مصر الجديدة — فى ٢٧ رمضان المبارك سنة ١٤١٤هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــــديم **فضيلة الشيخ أحمد صلاح**

الحمد لله: وسع كل شئ علماً. علم الإنسان مالم يعلم. وشرف أولى العلم فجعلهم فيه درجات، وفوق كل ذي علم عليم.. ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾.

ونصلي ونسلم على سيدنا ونبينا محمد ﷺ عبد الله ورسوله وصفيه وخليله : علمه الله الكتاب والحكمة، وعلمه مالم يكن يعلم، علمه الله العلم الأول والعلم الآخر، وآتاه القرآن العظيم ومثله معه.. فكانت معجزته العلمية والعقلية في فيه قرآناً عربياً وحُكماً إلهياً.. ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾.. رفع الله به أقواماً أخذوه بقوة فسعدوا وسادوا، وخفض به آخرين اتخذوه عاراً وهزواً ولعباً فشقوا به، واستعلى عليهم أعداؤهم وتقلص سلطانهم، وعلقوا المصحف للعنكبوت والتراب، واستغنوا عنه بالروايات فضلوا، وأضلوا.

والقرآن العظيم كتاب استجمع حقائق الأزل والأبد. واستوفى من هدايات السماء والأرض مالم يتوفر لكتاب سابق.. ﴿ذلك الكتاب لاريب فيه﴾.. وما عداه من كل الكتب بجواره لاشئ. لانه كما قال مُنَزِلُهُ: ﴿مصدقا لما بين يديه ومهيمناً عليه﴾. إنه دستور هذه الأمة المسطور والمقروء. إنه ندوة علمية للعلماء، ومعجم لغة، ودائرة معارف للتشريع والأحكام، ومعلم لمن أراد أن يقوِّم لسانه.. بل هو كتاب العلوم المُحكمة وما زاد عنه فهو نافلة.

يَزِيدُكَ وَجهُهُ حُسناً كُلَّمَا زِدْتَه نَظَرَا

وليس في العالم الآن ومنذ بعثة خاتم النبيين كتاب مقدس تصح نسبته إلى ذي الجلال والإكرام إلا هذا القرآن العظيم صانه الله رب العالمين من التحريف والتبديل، ولم يتوفر ذلك للتوراة، أو الإنجيل.. لان أهل التوراة استحفظهم الله فلم يحفظوا، وأهل الإنجيل لم يكونوا أحسن حالاً من أهل التوراة.. وجمع هؤلاء وهؤلاء بعقولهم الأسفار الخمسة.. وضاعت توراة موسى إلى الأبد.. كما ضاع انجيل عيسى إلى الأبد، وعند القوم خمس وثلاثون نسخة من الأناجيل.

١ ـ فالقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي يحمل إلينا وحي السماء الصادق

فيقول تعالى: ﴿انانحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾، وهو أساس العلوم كلها، والقران والسنة النبوية هما مرجعية مطلقة لكل علم.. وفي ذلك قال علماء السلف فقد قال إمام دار الهجرة الامام مالك: (لا أعلم شيئا يحتاج إليه وهو في الكتاب والسنة). ولقد أتاح الله تعالى لي فرصة مراجعة كتاب:

نظرات فى الكون والقران

(مقاربة عقلية إيمانية)

للباحث الدكتور عبد الهادي ناصر.. نائب رئيس جامعة المنوفية.

ولقد سعدت في هذه المراجعة في روضة إيمانية سعادة غامرة تذكرت قول نبينا محمد ﷺ .. ﴿يحمل هذا العلم من كل خلف عدول، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين﴾.

والكتاب بجزأيه دائرة معارف اسلامية يُسعد الخاصة من العلماء الراسخين، وقد يضيق به أنصاف المتعلمين، ويتبرم به الملاحدة العلمانيون ممن لا تعمر قلوبهم بحب هذا الدين.

ولقد بذل المؤلف - رضي الله عنه - جهوداً خارقة فقد عاش لهذا الكتاب شبابه وعمره يرتب الأبواب والفصول في حلقات متماسكة، وقدم للناس في سهولة ويسر عطاءات القرآن في كل القضايا، كما قدم نصوص السنة النبوية، وساعده على هذا إمكانياته الهائلة في بحوث الكمبيوتر.. فهو يأتي بحشد كبير من الآيات الكريمة في كل موضوع.. والكتاب فريد في منهجه وتبويبه وإخراجه.

٢ - والكتاب عمل كبير، يسد فراغاً في المكتبة الإسلامية، يؤجر عليه صاحبه في ضوء قوله ﷺ: ﴿إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له﴾.

كما نُحَيِّيَ الباحث فقد أشرَك أسرته: زوجه، وولديه وأبنته في حوار مشوق في إثراء مسائل هذا الكتاب.. يعلمهم آيات الله والحكمة.. والأسرة المسلمة أساس لبناء المجتمع الصالح.

ولو أن المؤلف أعاد النظر في النظرات لزاد!.. ورحم الله العماد الإصفهاني فقد قال: «إني رأيت أنه لايكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال عنه في غده لو غَيْرُ هذا لَكَانَ أحسن، ولو زيد كذا لَكانَ يُستَحسَنُ»

وصدق الأصفهاني فهذه طرائق علماء البشر فهم يحتاجون مهما أوتو من علم إلى إضافات وتعليقات وتصويبات.. فعندهم طبعة ثانية، وثالثة - مزيدة ومنقحة.

أما القرآن الكريم فقد قال الله فيه: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه

اختلافاً كثيراً﴾.

والمؤلف - رضي الله عنه - كان موفقاً حيث فرق بين العلم الرباني المعتمد على القرآن وصحيح السنة فأثبت لهما المرجعية المطلقة لكل العلوم.. أما العلم البشري فمبني على افتراضيات تخمينية، لا يكتسب حجية إلا إذا وافق القرآن والسنة.. وقد ثبت في سنن أبي داود من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ﴿إنما العلم ثلاثة وما زاد على ذلك فهو نافلة آية محكمة، وسنة قائمة، وفريضة عادلة﴾.

فالعلم سماوي المصدر، إلهي المنبع، قرآني الإسناد، نبوي السلسلة - وما وراء ذلك فعلم بشري لايصل إلى مرتبه اليقين، أو علم اليقين، أو حق اليقين.

٣ - وفي ضوء كلمة العماد الأصفهاني السابقة وطلباً للأحسن نُسجل بعض الملاحظات:

ا. يورد المؤلف العديد من الآيات في الموضوع الواحد، لزوم التصنيف الموضوعي، وقد تنفرد آية عن أختها بلقطة ضوئية زائدة!.

ب. أناشد المؤلف - عافاه الله - أن يكون طبع هذا الكتاب أنيقاً بحروف واضحة على ورق جيد يتسنى قراءته لكل ذي عين.

٤ - إني أقدر للمؤلف - رضي الله عنه - مابذل من جهد التحقيق والتدقيق. وعلى سبيل المثال فقد تعرض لقوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق* خلق الإنسان من علق* إقرأ وربك الأكرم* الذي علم بالقلم* علم الإنسان مالم يعلم*﴾ (العلق١-٥)

فقال فالفهم صحيح للقران الكريم يلزمنا أن نقرأ قراءتين: نقرأ الكون في القرآن، ونقرأ الحياة في الكون والقران.. نقرأ لنتعلم جواهر الأشياء قراءة متكاملة كلية.. وهناك قراءة ثالثة نحن مكلفين بها هي قراءة الحروف، نتعلم القراءة والكتابة والتدوين بالقلم لنستفيد بتراكم المعارف الإنسانية.

والقراءات الثلاث - قراءة الكون، وقراءة الحياة فوق الأرض وتحت الثرى، وقراءة الحروف - وجوه متكاملة لفقه الحياة.

وفقه الحياة هذا أساس لاغنى عنه يتكامل مع فقه العبادات وبالفقهين معا يتكامل الفهم الصحيح للرسالة الإسلامية التي جاء بها النبي العربي العالمي في دعائه ﴿وقل رب زدني علما﴾.

ولا مدخل لهذا الفقه المتكامل إلا بتَعَلُّم اللغة العربية.. لغة القرآن ولغة نبي القرآن.. لتكون لغة التعليم، ولغة التخاطب، والرسائل.. ولقد أسأنا المعاملة مع لغة القرآن بالتَرْك والإهمال.. فتفشىّ الهبوط إلى العامية حتى فقدنا التذوق لفهم

٥ ـ ومن عجب أن الأمة الإسلامية لها رصيد ضخم في فقه العبادات والفروع، بينما هي في فقه الحياة تعيش فقيرة بخجل تستورد الثقافة والغذاء.

وقد عالج المؤلف في الباب الثالث الفصل الثاني تحت عنوان (البحار والحياة في القرآن) وكأنه يعتب على أمة القرآن تخلفها الرهيب في استخراج خيرات الله من البحار. فالبحر مستودع غذاء الغد، والبحر مشارك أصيل في الحياة على كوكب الأرض، وذكر أن دراسة البحار ضد الخوف والجوع فريضة اسلامية، فإذا قلت المنتجات الزراعية على يابس الارض ـ وَجَبَ أن نتجه للبحار لنستخرج ما فيها من طعام وغذاء وكساء ومعادن وخيرات.

وجدير بالذكر بأن نوجه الأموال التي تنفق على أبحاث الفضاء لحل مشاكل استخراج الطعام من البحر صماناً لبقاء الجنس البشري، وحينئذ لا نشكو قط من الإنفجار السكاني، مع أننا لم نستصلح كل الأراضي للزراعة.

والقرآن الكريم حافل بالآيات الداعية إلى الأكل من صيد البحر وطعامه ﴿لتأكلوا منه لحماً طرياً﴾ فقد قال الله تعالى: ﴿الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾.. فلو أننا قمنا بتحصيل الغذاء من كل شبرٍ من يابس الأرض، مع استغلال خيرات وموارد البحر كذلك ما رأينا المجاعات تهدد كثيراً من الدول النامية!! .. من هنا فإن تعطيل نصٍ واحد من كتاب الله جريمة في حق هذا الدين؟!

وهكذا كلما عشت مع بحوث هذا الكتاب ترى الأرض واحة إيمانية، وأن الإسلام دين عمل، دين يرفض الخرافة، ويحارب الرزيلة.

بارك الله في جهد المؤلف الذي طاف بقضايا الكون دراسة ميمونة إيمانية ملتزماً بفقه القرآن والسنة.. ﴿ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين﴾

فجزاه الله عن دينه ونبيه خير الجزاء،،

أحمد علي صلاح

من علماء الأزهر

ـ شبين الكوم ٢٤ من المحرم ١٤١٤ هـ ١٤ يوليو ١٩٩٣ م

سيادة الأخ الفاضل د. عبد الهادى ناصر.

على إمتداد أكثر من شهر و أنتم معى من خلال كتابكم المُذهل المُثير.

ولا أدعى إن قلت اننى فى كثير من الاحيان كنت أناقشكم فى موضوع الكتاب فأسمع منكم تعليقاً عليه. وكان هذا التعليق يفتح أمامى أبواباً جديدة من الرؤية البصرية و العقلية حول هذا الكتاب.. وللحق كانت رحلتى معه رحلة ممتعة للغاية. كان إسراء تعرفت من خلاله على منظومات الكون و أسرار القرآن. فأشكر الله العزيز الحكيم الذى مَنّ علينا بهذا. وما كان ليوجد لولا أراد الله. وأشكر لك ثقتك بى، مع أن التجربة مع الكتاب أثبتت أنه أكبر من أى تقديم.. فبما فيه من عفوية حيناً.. ومباشرة فى معظم الأحيان هو أعز من أى كلام يقال فيه.. فدَعَه يُقدّم نفسه فكفى بالقرآن تقديماً له.. وكفى بالكون شاهداً عليه..

وهذه الوريقات السبع المرفقة ماهى إلاّ نظرات على النظرات. وهى قاصرة قصوراً شنيعاً أن تصل لمدى غايات هذا العمل الايمانى العظيم. ولذلك أرجو أن تسامحنى عن هذا القصور لا التقصير. فما قصرت فى حق الكتاب. فقد قرأته حق القراءة واستوعبته حق الاستيعاب، وبقدر الجهد و الطاقة. ولكن الكتابة فيه وعنه أجهدتنى كل الجهد. وكتبت فيه عشرات الأوراق. وسودت فيه أجندة كانت كلها بيضاء. ومع ذلك أكتشف أن الكتاب بشكله وملامحه وطريقة السرد فيه هو مراد الله. لأنه بمثابة آية ﴿اقرأ﴾ الأولى فى القران الكريم.. فلنقرأ!!.. فلا تأتى إلاّ بهذا الشكل لتشد إليها الأذهان. وتستقر الألباب..

فظنى كل الظن أن كتابكم هذا (على ضخامته) بمثابة القطر الذى يسبق السيل.. أو قُل العلامات التى على الطريق لتحديد المعالم.. أو قُل الفهرس الذى سيهدى الباحثين إلى قصدهم حينما يقصدون.. وإنى لأرى أن هذا هو المستقبل!. وأن هذا هو معالم الطريق إليه!.. وكفاك شرفاً أنك أنت الرائد الذى ذهب إلى هناك وعاد ليروى لنا مارأى!. صحيح قد تختلف الرؤى فى المستقبل. وقد تأتى الدراسات المتخصصة بجديد من القول فى العلوم و القرآن. والحق أن كل ماقيل فى القرآن الكريم حتى الآن كان صحيحاً، ويبقى أبداً كذلك. فكلما تحركت ثقافة الانسان كان التحرك مع القرآن صحيحاً. فطوبى لك بما قدمت من جهد. وما أجرك إلاّ على الله رب العالمين.

وفى الختام تقبل تحياتى و أشواقى وحبى وسلامى إلى أفراد أسرتكم الصغيرة الطيبة، التى أمتعتنا صحبتها خلال رحلة هذا الكتاب، فى مُدارسة عقلية علمية إيمانية قرآنية.. و السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

مجلة بحر فى ١٩٩٣/١٢/٢٦م محمد إبراهيم ناصر.. محام بالنقض

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب والنبأ العظيم — تقديم الأستاذ محمد إبراهيم ناصر

﴿بسم الله الرحمن الرحيم* عم يتساءلون* عن النبأ العظيم* الذى هم فيه مختلفون* كلا سيعلمون* ثم كلا سيعلمون﴾ النبأ.

- عنوان مثير. وموضوع خطير. وتوقيت قَدَر ومصير. كان هذا هو انطباعى الأول حول كتاب الأستاذ الدكتور المهندس/ عبد الهادى ناصر

(نظرات فى الكون والقرآن).. مُدَارسة عقلية علمية إيمانية.

صحيح أن للكتب ملامح وقسمات كوجوه البشر سواء بسواء.. وعناوين الكتب هى وجوهها التى تراها وتحكم عليها من قبل أن يتكلم الكتاب عما يحتويه. وعنوان هذه الكتاب مثير كملمحه. شيق كسطوره. متدفق كنهر عظيم. كثيف بقدر ما فى الكون والقرآن من عناصر ومعانى تفوق الحصر. ولذلك فقد اختار المؤلف أن يعالج فكرته عن الكون والقرآن من خلال (نظرات) وهى فى اللغة جمع (نظر). وهو إما البصر بالشئ وتأمله عن طريق العين، وإما البصر بالشئ وتأمله عن طريق العقل.. وكلاهما رؤية خاصة تتوقف على عدة مقومات أساسية فى الناظر من ناحية وفى الشئ المنظور فيه من ناحية أخرى، ومن ثم يختلف النظر من شخص إلى شخص، وتتباين الرؤى من عقل إلى عقل.

○ ونظراً لحساسية موضوع الكتاب، ودقة الموضوعات المطلوبة فيما يتعلق بالكون أو القرآن كان إختيار الكاتب للدخول على موضوعه باسم (النظرات) فيه مايعفى من كثير من الحرج، إذا لم يتفق معه القارئ فى الرأى!!.. وفيه مايمنع من المجادلة فى النظر، إذا لم يجد هوى لدى علماء الشرع، أو لدى علماء العلوم الحياتية التى سوف يتعرض لها الموضوع بالضرورة. فكلمة (النظرات) تخرج بالكتاب الذى بين أيدينا من نطاق العلوم الشرعية.. وتبعد به عن نطاق العلوم التجريبية.. ولا يبدو أنه إجتهاد فى نصوص القرآن بالمعنى الضيق للإجتهاد - وإنما أقصى ما يوصف به هذا الكتاب هو أنه فتحٌ من الله ونصرٌ مبينٌ. فما أشد حاجتنا إلى مثل هذه الدراسة فى هذه الأيام كما سنوضح فيما بعد..

○ ولعل أهم دواعى الإثارة فى العنوان، وبالتالى الخطورة فى الموضوع هو إشتمال الدراسة على محورين لاحدود لهما!!.. وهما الكون العظيم.. والقرآن الكريم.. يتبعهما بدراسة تصنيفية موضوعية عن الانسان فى القرآن..

○ ولندرك مدى خطورة موضوع الكتاب نحاول أن نتعرف على الكون والقرآن.. ثم نتفهم دواعى التوقيت من خلال المُناخ الثقافى لعالم أواخر القرن العشرين.. ونعين القارئ بفكرة مسبقة عن قضية القرآن فى الكون. وهى قضية واردة فى صلب الكتاب، نلقى عليها بعض الشئ من الضوء مما يساعد على تقدير قيمة هذا الكتاب. وما يمكن أن يقدمه إلى الاسلام من فائدة تعادل غزوة من الغزوات فى عهد النبوة، أو فى فترات الاستنهاض الحضارى الاسلامى

اللاحقة.. وحتى نتوخى الصدق والحق فان القرآن هو الذى يغزو بنفسه، وهو دائماً كان يختار معركته ويخوضها بينما المسلمون فى ضعفٍ مُميت.. كضعفهم فى هذه الأيام.

○ ولكى نتعرف على الكون أكثر فسوف نعرض بالاضافة إلى ما بالكتاب من شرحٍ مذهلٍ إلى آخر ما توصل إليه علماء الفضاء من معلومات جديدة فى عام ١٩٩٣، وهى معلومات إن لم تكن تفيد فى تصوير حجم الكون، فعلى الأقل سوف تفيد فى تصوير حجم الفكرة التى يناقشها الكتاب، وتوضح أنها فكرة ينخلع لها قلب الرجل الجسور!!.

○ فآخر إصدارات عن الكون كان إصداراً أمريكياً بنفس الإسم (الكون) للفلكى الأمريكى (كارل ساجان)، وبه معلومات مذهلة عن الكون يقول فيها: (إن الكرة الأرضية التى نسكنها ماهى إلاّ شاطئ صغير ضحل على أطراف المحيط الكونى. وان معلومات الانسان عن هذا الكون لاتتعدى وصول الماء إلى أصابع الأقدام. واننا لانملك ارتياد هذا المحيط إلاّ من خلال عقولنا. ثم ان البشر ماهُم إلاّ حفنة من مادة النجوم تتأمل النجوم ذاتها!)

○ وفى دراسة أخرى حديثة يعلن العالم الاسكتلندى (مايك هوكنز) أن الكون ليس نهائياً!!.. إذ تبين له بالمتابعة وتحليل الصور التى حصل عليها من مراصد استراليا وادنبرة ان الاجسام المُعتمة فى الكون، وهى تمثل ٩٠٪ من الكتلة المفقودة للكون تحتوى على قدركبير منَ الكثافة يكفى لوقف تمدد الكون فى وقت مافى المستقبل ثم تبدأ بعد ذلك الانكماش والتقلص ليعود الكون إلى نقطة البداية ثم يولد حركة معاكسة لحركة الانفجار العظيم الذى نشأ الكون نتيجة له منذ ٢٠ مليار سنة فينفجر الكون من داخله وتكون النهاية كما كانت البداية. وفى أبريل من عام ١٩٩٢ أعلن فريق من علماء الفلك الأمريكيين اكتشاف بذرة المادة الأصلية التى نشأ منها الكون فى الفضاء السحيق وهى ظهرت للوجود بعد ٣٠٠ ألف سنة من الدوى العظيم الذى صاحب خلق الكون.

○ وما عرضنا لهذين النموذجين من الاكتشافات الكونية إلاّ لنؤكد على حقيقة أساسية وهى أن المعلومات عن الكون لازالت ضئيلة للغاية، وأهم ما توصّل اليه علماء الكون بعد جهد جهيد تُنسَب الى ماقاله القرآن عن نشأة الكون، ثم أخيراً عن نهايته. وبالمنطق الرياضى البحت إذا ماثبت بالبرهان العملى صحة البداية، وصحة النهاية، فإن مابينهما يكون بالضرورة صحيحاً. ومن ثم كان مذهب إليه المؤلف عن أن القرآن هو كتالوج الكون قول صائب تماماً.. ولكن قراءة هذا الكتالوج هى التى تحتاج إلى نوعية خاصة من الرجال، من أمثال مؤلف هذا العمل الضخم!!.. فالمسألة لاتتعلق بالكون بقدر ما تتعلق بالقرآن؟!، ولا تتعلق بالقرآن بقدر ما تتعلق بمن يبحث فى القرآن؟!.. لأن القرآن لايفصح عن أسراره الكبرى إلا للراسخين فى العلم. والراسخون فى العلم فى يقينى أنهم هم الذين لديهم طرفاً من علم الأسماء كلها. التى علمها الله لآدم يوم مشهد العرض العظيم

فى قوله تعالى: ﴿وعلم ادم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى باسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم﴾.. والعلم الالهى الذى علمه الله بنفسه تعالى لآدم من الطبيعى أن يكون هو كل العلوم اللازمة لحياة الانسان على الارض بشقيها المعنوى والمادى. ولذلك فان فكرة الدين موجودة فى الجماعات البدائية بشكل يقترب من الدين الصحيح!!.. فما تفسير ذلك إلاّ أن الانسان قد جُبِلَ على التدين لأن العلم فى ذلك ثاو فى نسيج الخلية الانسانية، منذ الخلق الأول لآدم ﷺ..

○ والرّاسخ كما جاء فى معجم (مختار الصحاح) هو الثابت.. فكل ثابت راسخ.. ومن ثم نعود الى الراسخين فى العلم - فهُم فى ضوء ما أعتقد هم الذين ثبت فى خلية الذاكرة لديهم علم الاسماء.. ذلك العلم الالهى عن كل شئ.. (الاسماء كلها).. أما الافعال فلم يكن آدم فى تلك المرحلة فى حاجة إليها بعد.. ولأن الله عزَّ وجلّ يقول عن القرآن ﴿ما فرطنا فى الكتاب من شئ﴾.. ويقول أيضاً: ﴿ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شئ جدلا﴾.. فلا شك أن علْمَ الاسماء كلها وارد فى القرآن ﴿من كل مَثَلْ﴾.. ولا شك أن الناس فى الكون منَ آدم، وأن آدم فى كل الناس، ولكن بدرجات متفاوتة.. فأنظر قول الله تعالى: ﴿ماخلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير﴾..

○ ومن هذا المنطلق فان اعجاز القرآن ليس محدوداً، وانما هو كما وصفه النبى ﷺ بقوله: ﴿القرآن لاتنقضى عجائبه ولا يخلق (أى يَقْدُم) على كثرة التردد﴾.. ومن عجائب القرآن تلك الخاصية الفريدة التى تنهض به للدفاع عن الاسلام كُلّما ضَعُفَ المسلمين، وخبثت جذوة نارهم، وظنَّ الناس أنهم كهشيم الأرض؟!

○ فعندما كان المسلمون فى بداية الدعوة يتوارون بدينهم من الضعف والهوان كانت نصوص القرآن هى التى تحارب جبروت الكفر وطاغوت الطغيان بنفسها فى تحدٍ عظيم فانظر إلى قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ الإسراء.. وكان لها النصر فى كل المعارك التى خاضتها.. حتى أن الكفار من قريش كانوا يخشون على أنفسهم من سماع هذه النصوص الساحرة البيان فيضعون أصابعهم فى آذانهم عند سماع القرآن. بل كان الاستماع الى القرآن جريمة من الجرائم الكبرى يعذب مرتكبها اشنع العذاب.. ويكفى دلالة على انتصار النصوص القرآنية أن من اشتهروا بالبلاغة والفصاحة وسحر القول عجزوا عن الاتيان بمثلها.. وان واحدة من هذه النصوص بمفردها هزمت أشد رجال قريش قوة وشكيمة. فما كان لعمر بن الخطاب أن ترهبه القوة. ولا كان لمثله أن يسلم إلا كما أسلم مهزوماً من بضع آيات من القرآن الكريم وجدها فى بيت أخته المسلمة؟!

○ ولعل من أهم عجائب القرآن تلك الكثافة الهائلة الغير محدودة الكامنة فى

ألفاظ القرآن فاللفظ القرانى قضية مذهلة فى الوجود. فالجرْسُ له لغة ذات خصوصية. واللفظ الواحد يحتاج الى معجم لتعداد معانيه وتَبرأ غوار مدلولاته المتدفقة دوماً. والعبارة كونٌ تسبح فيه مجرات وسدوم. ولذلك فانه وان كان عربى اللسان إلاّ أنه يختلف عنه إختلافاً جذرياً عن بلاغة العرب. فإذا كانت البلاغة فى اللغة تقاس بانسجام اللفظ مع المعنى فلا يزيد اللفظ عن المعنى، أو يطغى المعنى عن اللفظ - فيحدث انفصال يؤثر على سلامة اللسان، فإن اللفظ فى القرآن يحتشد خلفه قوى طاقة هائلة من المعانى تصلح لكل زمان ومكان بحيث يُصبح كل استنتاج له وجه صحيح.. ومن ثم يستطيع الأمىّ البسيط أن يخرج من القرآن بمعانٍ من صلب الايمان والمنهج. ويستطيع العالِم فى كل فرعٍ من فروع العلم أن يجد فى القرآن ما يصادف علمه ويوافق ثقافته.. وهذا هو سحر القرآن.. وسر القرآن.. وعظمة القرآن.. وتأمل قول الله تعالى فى سورة المزمل: ﴿يا أيها المزمل، قم الليل إلا قليلاً، نصفه أو انقص منه قليلاً، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا، إنّا سنلقى عليك قولاً ثقيلا﴾.. وقد فسر الامام النسفى ﴿قولاً ثقيلا﴾ فى تفسيره (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ان القول الثقيل هو القرآن لما فيه من الأوامر والنواهى التى هى تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين، أو ثقيلا على المنافقين، أو كلام له وزن ورجحان ليس بالسفاسف الخفيف.. وهو تفسير صحيح!!.. ولكن فى زمن انفجار الذرة عن طاقة جبارة كامنة فيها.. تكون رؤية القول الثقيل مختلفة تمام الاختلاف خاصة وأن القرآن قد عنى بالحرف وصدّر به بعض السوَر تأكيداً على أن القوة الهائلة فى القرآن هى من وفى هذه الحروف!!.. وهى أسماء مجردة مثل (المـ. ألف لام ميم).. ومن هذه الاسماء المجردة كان القرآن. وكان العلم. وكان التعليم. ولان الله هو المعلم الأول للإنسان. فالعلم كل العلم كائنٌ فى هذه الأسماء.. وكائن فى نسيج الإنسان نفسه، بحيث لايكون التعليم الثانى إلاّ تذكرةً للتعليم الأول، ولعلّ هذا هو سر إلحاح القرآن وتأكيده المستمر على التذكر ﴿أفلا تذكرون﴾ لان القرآن هو علم الأسماء كلها التى علمها المعلم الأول لآدم ثم عرضهم على الملائكة وقال: ﴿انبئونى باسماء هؤلاء﴾.. ونجد المعنى الذى أشرنا إليه آنفاً فى قوله تعالى فى أول سورة الرحمن: ﴿الرحمن، علم القرآن، خلق الانسان، علمه البيان﴾.. فاقتران الآيات التى فيها خلق الانسان وتعليمه البيان (يوم الخلق والعرض على الملائكة) بتعليم القرآن من الرحمن أمر يوحى بأن القرآن والبيان هما أمر واحد أولاً وأخيراً.. ومن ثم ينسجم المعنى مع قوله تعالى: ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾.. والآلاء هى النعَم.. وليس هناك نعمة أعظم من العلم؟!.. وأعظم من القرآن؟!

وإذا كان القرآن قد استهل نزوله بقوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الاكرم، الذى علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم﴾ وكان النبى ﷺ.. الذى نزل عليه القرآن لايقرأ ولا يكتب.. وكان العرب فى معظمهم أميون.. فلابد أن هذا الأمر بالقراءة يستوجب الانتباه ويهز السامع من

الأعماق!!.. هذا في الوقت الذي كان فيه القرآن قد ظهر بعد.. فكيف يتأتى الأمر بالقراءة فيما لم يصبح له وجودٌ بعد؟! إلاّ أن يكون الأمر بالقراءة صادرٌ على موجود بالفعل.. مكانه ذاكرة الانسان!!.. ومحله علم الأسماء كلها!!.. ونطاقه كل مافي الكون من معارف لما كان وما سيكون إلى أن يرث الله الأرض وما عليها..

○ ولادراك الخصوصية الحضارية الفعالة للقرآن، وقدرتها الفائقة على تحدي الانسانية بهضم كل العلوم والمعارف السابقة على نزوله، وموقفه في مواجهة ما يستجد في الزمن من تطور ثقافة الانسان.. نسترجع غزوات القرآن الحضارية منفرداً في مجالات الثقافة ودنيا العلوم بإيجاز شديد...

١. كانت الغزوة الأولى للقرآن في مجال لّغة العرب، فتحداهم فيما ظنوا أنهم قادرون عليه فتفوق على ثقافة العرب الوحيدة، وهي ثقافة اللغة العربية، فرماهم بالقول الثقيل الذي لازال يكشف روحه مع كل قراءة وكأنه نزل في الحال!!..

٢. كانت الغزوة الثانية للقرآن على نطاق ثقافة الغرب التي تمثلت في العلوم اليونانية القديمة من الفلسفة والمنطق وما يندرج تحتها من علوم الفلك والرياضة والطب والهندسة، فقد كان القرآن في عرضه لقضية الايمان أكثر منطقاً من المناطقة أنفسهم فأذرى ببضاعتهم، وكان متجاوزاً لكل العلوم الاغريقية من الأساطير فيما عرض من قصص القرآن الحقيقية، وكان يحمل منهجاً وفكراً متوازناً في كل حرف من حروفه.. متصل النفس بحيث لاأثر للضعف وإنما حروفه متوهجة على الدوام، وكان من الطبيعي أن تعرض الفلسفة الإغريقية نفسها على القرآن في عنفوان عصر الترجمة، فما كان من القرآن إلاّ أن احتوى الفلسفة وسخرها في خدمة الشريعة الإسلامية وقيام المذاهب الكبرى التي لجأت إلى أساليب المنطق اليوناني في استنباط الأحكام من النصوص الكلية!!..

٣. كانت الغزوة الثالثة للقرآن على مستوى القانون والشريعة.. فمن المعروف أن العرب في أوائل القرن السابع الميلادي لم تكن لديهم غير ثقافة اللغة، وكان القانون السائد هو العرف والنظام القَبَلِيّ.. ولم يكن لديهم معرفة بالقانون بمعناه الفني.. بينما كان الغرب وعلى أطراف جزيرة العرب يوجد القانون الروماني العتيق الذي كان قد وصل الى أقصى غايات الرقي التشريعي من خلال تطور استغرق على الأقل ألف سنة فكان عمره في الغرب كعمر الفلسفة تماماً.. ألف سنة.. فنزل القرآن على رجل أميّ ليضع في بضع وعشرين سنة فقط لاغير قانوناً يبز القانون الروماني، ويفوّقه إنسانية، ويعالج القصور الذي كان يعيب ذلك الصرح الشامخ من القواعد القانونية.. ونجح القرآن في هذا التحدي التشريعي بامتياز بالغ الروعة!!..

٤. كانت الغزوة الرابعة للقرآن على مستوى الزهد والتصوف، وكان العرب إلى أن نزل القرآن يغترفون من المباهج ويرتكبون في ناديهم المنكر ولايعترفون بالبعث بعد الموت، وكانت الهنود إلى الجوار منهم تقوم ثقافتهم وتعتمد حضارتهم على التقشف والزهد.. فإذا بالقرآن يهذب هذه الثقافة، ويقوم أسلوب

الزهد، ويرشد الطريق إلى الله بشكل ساحر رقيق، ووضع المتصوفون الاسلاميون قواعد التصوف الاسلامي.. وعرّفوه بأنه "البحث عن الصفاء والترقى فى الشكر والذكر.. ومن ثم كان التصوف الاسلامى تصويباً لثقافة عمرها أكثر من ألف عام!!..

٥. وجاء زمان الغزوة الخامسة للقرآن.. وقد اختار القرآن ميدانه الجديد فى العلوم وتطبيقاتها.. فالمناخ العالمى قد أصبح مهيئاً لأن يقول القرآن الكلمة الفاصلة فى الصراع الثقافى القائم الآن على قدم وساق.. ولا نقول صراع الرسالات فذلك فهم خاطئ للدين؟! فدين الله واحد.. فالرسالات السماوية تتكامل ولا مجال للصدام بينها، ولكن الصدام ينشأ تحت تأثير الثقافات التى نشأت على الدين!!.. لكن (صمويل هانتجتن) الاستاذ بجامعة هارفارد نشر بمجلة السياسة الخارجية الأمريكية دراسة جديدة يؤكد فيها أن المرحلة القادمة من القرن الواحد والعشرين سوف تشهد صراعاً بين الحضارات ومواجهة بين أصحاب الرسالات.. ورسم خريطة لمناطق الصراع وضّح فيها حتمية الإنقسام بين أوربا المسيحية من ناحية، وبين الشرق الأوربى الأرثوذكسى اوالاسلامى من ناحية أخرى.. أى أن الصراع مع منطقة الاتحاد السوفيتى السابق سوف يظل مشتعلاً، ولكن ليس على أساس عقائدى أيدولوجى، ولكن على أساس دينى. ورغم أن المسلمين فى الشرق والغرب تتردى أحوالهم إلى الأسوأ، ونامت شوكتهم تماماً بعد الحرب العالمية الأولى، وحتى الآن .. إلاّ أن القرآن حمل الدعوة الاسلامية وحيداً، ومضى يجاهد فى الأرض!!.. وبدأت الدعوة إلى البحث عن الإعجاز العلمى فى القرآن تتسلل حثيثاً إلى وجدان علماء المسلمين.. ويجيئ الفتح متتابعاً حين يقف علماء الرسالات الأخرى يؤكدون إعجاز القرآن فى مختلف مجالات العلم!!.. وتتطور نظرة العلماء إلى القرآن.. فإذا بشذرات من الأفكار المضيئة تخرج بين الحين والحين لتثبت بالدليل والبرهان ان النصوص التى تحدت ثقافة اللغة، ثم تحدت ثقافة المنطق الفلسفى، ثم تحدت ثقافة التشريع والقانون، ثم تحدت ثقافة الزهد والتقشف - تتهيأ لمرحلة جديدة من الصراع والتحدى فى عقر دار العلم وتطبيقاته فى الوقت الذى تسامت أحلام الانسان بعيداً عن كوكب الأرض، وتطلعت إلى آفاق الفضاء والكواكب الأخرى والنجوم، وبعد أن أصبحت الكرة الأرضية مجرد قرية صغيرة مكشوفة بلا أسرار.. ونجزم أن القرن القادم هو قرن القرآن؟!.. وان صدام الحضارات الذى يتنبأ به (صمويل هانتجتن) فى دراسته السابق الاشارة اليها سوف يُحسم فى النهاية لصالح ثقافة واحدة قادرة على هضم كل الثقافات وأخذ أفضل مافيها.. ومن علامات انتصار القرآن مابدأت تفيض به النصوص من أفكار علمية موافقة لطبيعة الحياة التكنولوجية التى تأخذ بألباب الناس من الغرب والشرق، حيث نشطت بتوفيق من الله حركة البحث العلمى فى آيات القرآن، وجند الله لهذا الأمر جنوداً لم يكونوا فى حسبان المسلمين فمثلاً الذين قالوا عن صحة نشأة الكون من

حدوث انفجار عظيم طبقا لنص القرآن كانوا غير مسلمين. والذى اكتشف أخيراً أن الكون له نهاية، وله مستقر كان من غير المسلمين..

وهذا الكتاب بما ورد فيه من نظرات فى الكون والقرآن .. وفى الإنسان والقرآن.. يُعد بحق ظاهرة جديدة تستحق وقفة إكبار وتأمل.. إكبار لأن منهج النظر فى موضوع الكتاب يحاول أن يجعل منه موسوعة علمية قرآنية للبحث فى كل شئ !!

ولعل اللقطة الخطيرة فى هذا الكتاب هو معالجته لفكرة الشيئية فى الكون والإنسان والقرآن. وهى فكرة مذهلة تومض حيناً وتشرق حيناً.. لكنها فى كل الأحايين تُلهبُ الخيال وتخطف الألباب.

- وبعد قرَائتى للجزء الأول (نظرات فى الكون والقرآن) من الكتاب لأكثر من مرة. كان يقينى يزداد فى كل مرة أن تصنيف الكتاب بتكامله والجزء الثانى (نظرات فى الانسان والقرآن.. منظومة حياة الانسان فى القرآن.. من حيث خلقه، ووجوده، وحياته النفسية، والقلبية، والعقلية، والفكرية، والايمانية، والاجتماعية، والاقتصادية.. وتربيته، وأعماله وأفعاله، ومشكلاته المعاصرة..) ماكان ليتأتى للكاتب من تلقاء نفسه. وأن اختياره للموضوع وعكوفه عليه، والظروف التى هيأت له فرصة الخلوة مع الفكرة لسنين طويلة، دون شواغل أخرى من أسباب الحياة.. لابد وأن وراء هذا كله قَدَرٌ إلهىٌ عظيمٌ.. وطوبى لنا بهذا الكتاب القيم الذى يعتبر فتحاً جديداً فى مجال اسلامى جديد سوف يثرى المكتبة الاسلامية بنظراته الطيبة، التى كل نظرة منها كفيلة بأن تقوم عليها مجلدات؟!

- ولما كنت قد بدأت بانطباعى الأول. فلابد أن أنهى بانطباعى الأخير.

○ وحتى أكون صادقاً مع نفسى ومع القراء. أقترح أن يكتب على الغلاف الخارجى للكتاب تلك العبارة التى كان أفلاطون قد كتبها على باب مدرسته فى مدينة أثينا القديمة (من لم يكن مهندساً فلا يدخل علينا).. لقد حلّ زمن الفقه الرياضى، والتكنولوجى المعلوماتى فى شتى مجالات الحياة.. وخير ختام أن نقول مع الله..

بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿يسبح لله مافى السموات وما فى الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم، هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين، وآخرين منهم لم يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم﴾ الجمعة:١-٣

صدق الله العظيم.

محلة بنر. شبراخيت. بحيرة فى ١٩٩٣/١٢/٢٦

محمد إبراهيم ناصر

محام بالنقض

- يجرى الزمان سريعاً.. وتنقضى الآجال.. وتتخبط البشرية بين ملذات المادة والروح، وعندالغالبية تطغى الأولى على الثانية، جاءت الرسالات لتوازن بينهما، ولتوظف المادة لخدمة الروح وتهذيب النفوس.. ويجند الله دينه وكتبه ورسله والنفوس الطيبة للارتفاق والانتفاع من كل شئ خلقه الله وسخره فى الكون: جماد، زمان، نبات، حيوان، هواء، ماء، دواب، سمك، نحل، طير.. أدت كل رسالة سماوية وظيفتها المحدودة، لزمن محدود فى قوم بذاته، وجاء الاسلام ليهضم كل الرسالات ويحتويها، فهو بحق رسالة الرسالات، هو دين الله الخاتم (إن الدين عند الله الاسلام)

- أدركت هذا الأمر مبكراً حال ترحالى للعديد من دول أوربا طلباً لعلم وتمكيناً لمعرفة، منذ أواخر الخمسينيات، القوم هناك يسيرون على نهج الاسلام، ولاينطقون بالشهادة.. يحترمون الفطرة الانسانية والكون ويفترفون من معين الاسلام.. قرآن الله، وسنة رسوله ﷺ وينهلون من تراكمات ثقافتنا وحضارتنا الاسلامية، عرفوا الكون واحترموه وتغلغلوا فى جوهر كل ماخلق ربنا وسخر من شئ.. فكانت لهم القوة.. وصارت لهم السيادة.. أما نحن ورثة القرآن والسنة وثقافة الاسلام وحضارة السلام فأهملنا كل الأشياء.. وجزءنا أغلب القضايا.. فكتبت علينا تبعية مهينة، وفقر مخجل؟!

- سر نهضة الغرب أنهم بدأوا مما عرفوه منا وعنا إبان الحروب الصليبية، وفى زمن الاحتكاك بحضارة الأندلس، ترجموا كل موروثنا الحضاري إلى لغاتهم، وسرقوا ونهبوا النماذج، وتعلموا منا وعنا علماً حياً لكل نشاطات الحياة الجمادية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، أما نحن فأهملنا الموروث، ونسينا التاريخ، وأهملنا الجغرافيا والفلك والرياضيات والطبيعة والكيمياء والأحياء.. الزراعة والصناعة والطب.. وكل العلوم والفنون.. أهملنا البحر واليابس، ولوثنا الماء والهواء والأخلاق.. ورضينا بتقهقر منظم سريع، حتى أصبحنا نعيش على هامش الكون ؟! ونستجدى الاعداء غذاءً وسلاحا..؟!

- مامن منصف فى الغرب والشرق إلا ويقرر فضل الاسلام والمسلمين على البشرية.. والمغالون منهم يعتبروننا عدواً وحيداً لدوداً بموروثاتنا الحضارية والثقافية.. وتاج الموروث القرآن والسنة والاخلاق والتاريخ.

- أدركت أن سر تقدم الغرب يكمن فى فهمهم الصحيح لآيات النظر والعقل فى القرآن.. فكانت جواز دخولهم إلى الدولة التكنولوجية الغربية؟! ..

لقنوا جوهر آيات النظر والتفكير القرآنية لأبنائهم واحفادهم فكان لهم ماأرادوا؟!.. فوصلوا الآفاق وارتادوا المجهول!!.. ومن عجب أنهم أعملوا قول الله تعالى: (أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو ءاذان يسمعون بها فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) (الحج؟؟:٤٦)؟!..

- أما نحن أمة القرآن فأهملنا الأرض والبحر والنهر والماء والهواء والسير والكدح والعمل، والفكر والعقل والابداع، ووقفنا موقف الغربة والعزلة من آلات الانتاج ومعداته، وتركنا التاريخ والسير والعبر والسنن، جزءنا القضايا والرؤى، وتحزبنا شيعاً شيعاً، ورحنا نبتر الجسدالاسلامى، ونلوث الجراح العربية، ونسلك مسالك الجاهلية الأولى.. نجمع المال، ونعنى بالشهوات والملذات والزينات، ورحنا نتسوق الدواء من مواطن الداء، ومرابض الاعداء؟!

- رحت أستطلع الأمر فى المكتبة العربية لعلى أجد معالم طريق نحو أسرة

تكنولوجية مسلمة وجدت فقراً وعدماً.. تهيبت المهمة.. لكنه الصبر بالله واليقين فى الله..

- ركبت عنان الخيال ألتمس طريقاً نحو دولة تكنولوجية معاصرة يتأخى فيها اهل الرسالات أمراً بمعروف ونهياً عن منكر فى حدود دين الله الواحد الأحد' الفرد الصمد.. وما ذلك على الله ببعيد.. فعّال لما يريد..

- أمر كهذا فى حاجة لعمل مؤسساتى' ولايفيه أفراد مهما كانت قدراتهم.. على الوفاء بتفصيلات المهمة' ربما ينجح البعض فى تحديد رؤوس موضوعات تصلح إطاراً وجدول أعمال لفكر متكامل..

- لكل ذلك كانت هذه النظرات الموضعية والموضوعية فىالكون والقرآن والسنة' يتبعها أخرى فى الانسان والقرآن.. بإذن الله تعالى.. قضيت فيها أغلى سنوات حياتى.. متتلمذاً مرتحلا.. ناقلا مُجرباً.. وجئت أروى مافهمت وأدركت' لعل الله يتقبّل!!

- فهذاالعمل نتاج الكثير من المناقشات والمدارسات مع العديد من الزملاء والأصدقاء فى مختلف التخصصات.. فبحكم عملى الجامعى والاجتماعىالعام استشرت وتناقشت مع كثير من الزملاء الأفاضل كل فى مجال تخصصه فيما غمض على فهمه' ولكثرتهم أعتذر عن التخصيص بالاسم' وأسأل الله لهم جميعاً خير الجزاء..

- شكرى وتقديرى للأخوة الاصدقاء الرواد: الأستاذ الدكتور عبد الصبور مرزوق' والأستاذ الدكتور ابراهيم البطاوى' وفضيلة الشيخ أحمد على صلاح' والدكتور معتز المرزوقى' والأخ العزيز الكبير محمد ابراهيم ناصر.. لاثرائى وتشجيعى لمواصلة العمل وانجازه

- شكرى الخاص لأخى الفاضل الأكبر الأستاذ عبدالرحيم محمد عاصى' وللأساتذة.. على صابر' ومحمد أبو أحمد' ومحمد عبد المؤمن ناصر' وأسامة عامر' وم. على الشامى.. فقد أسهم الجميع فى مراجعة الكتاب' وشجعونى واستنهضونى للانتهاء منه!!

- لعل المنهج الموضوعى الفطرى الكلى لهذا الكتاب ومضة نور على طريق إرادة حياة جادة لشباب الأمة' ولعله يصلح إطاراً عقلياً إيمانياً إتفاقياً بين كل الناس.. فى جمعياتهم ومؤسساتهم العامة والخاصة' مهما إختلفت نزعاتهم وثقافاتهم وأعمارهم ومهنهم' وحتى دياناتهم..

- ولعل الكتاب تهجين لتصنيف موضوعى وموضعى لنسيج تكاليف القرآن فى شتى فروع ودروب نشاطات الحياة' على هدى سيرة النبى ﷺ' والقصد بالتصنيفين انتفاع وارتفاق الناس جميعاً بكل شئ فى الكونين: الكون الجمادى (السموات والأرض وما بينهما)' والكون المعنوى (القرآن والسنة).. بلا تجزئ ولا تبعيض - وصولاً إلى رضاء الإنسان' وراحة باله' وسعادة أسرته' وقوة مجتمعه' بإعمار الإنسان' وتنمية البلدان' وعزة الشعوب بتعظيم الموارد' وتبادل المنافع غُرْماً وغُنْماً' فى حدود ماأمر الله وشرّع' أمراً بمعروف' ونهياً عن منكر' لا إكراه فى دين وممتقد' نُحقق العبودية الخالصة' ونستقيم على صراط الله رب العالمين.. يَصلُحَ العمل' ويَنصلِحُ البال' نُعَمِّر فى كون الله وبره وبحره' ونستصلح الأهل والأحباب' ونستزرع الخير والتقوى فى نفوسهم..

على الله قصد السبيل.. والله الموفق والمستعان"

تبين الكوم ٢٠ ديسمبر ١٩٩٣ — دكتور عبد الهادى ناصر

بسم الله الرحمن الرحيم

حوار حول الكتاب

جلسنا فى نطاق الأسرة زوجتى وولداى وابنتى وتجاذبنا الحديث.. فتحنا باب حوار حول محتوى الكتاب.. وجاء الحوار كله علامات استفهام"؟؟؟" وعلامات تعجب"!!!".. بعضها جاء عن قلق من ولدى.. وبعضها قفز عن إشفاق من زوجتى.. وبعضها قفز إلى فؤادى عن جهل منى!.. تجاذبنا الحديث حول الإستفهام القلق!.. ودونا بعضاً مما قلناه لعل فى العمر بقية أستزيد معرفةً أو سعياً لمعرفة من أهل فضلٍ وعلمٍ.. سعياً لمجالسهم.. أو بحثاً فى مدوناتهم.. أو ترحالاً لمنتدى.. أو تواجداً فى ملتقى.. حيث تثار كثير من هذه التساؤلات!.. لعلى أستنهض إضافة، أو أستدرك قصوراً، أو أصحح أخطاءًا غير مقصودة !!

- سأل ولدى: لماذا كل هذا ؟!.. أفى الله شك ؟!..

- قلت: كلا والله يا ولدى!! فالكل يعرف أن الله موجود إله واحد.. هو خالق كل شىء.. هو مُسخر الاكوان.. هو الله يا ولدى مُدبر الأمر باعث الحياة.. أما يا ولدى هذا الذى تراه أمامنا فتصنيف موضوعى لكلام الله تعالى فى قرآنه حول خلق الكون من عدم!! وحول تسخير الكون!! وحول بقاء بعض مكونات الكون للأجل الذى قدره الله لها!.. هى يا ولدى! محاولة لتفسير ماندركه فى الحياة من روح النصوص الموضوعية القرآنية!.. سَمه يابُنَىّ فهماً مجملاً، أو فهماً إطارياً، أو فهماً كلياً، أو فهماً للحياة ومذاكرة فى آياتَ القرآن!..

- وسأل ولدى الاكبر: ألا يكفى لنا أن نعرف شيئاً عن الأرض والشمس والقمر، وهذا يكفى لحياتنا، وحياة مجموعتنا الشمسية ؟!..

- قلت: ياولدى! علم نظام الكون -الحديث-يقرر بما لايقبل الجدل أن حياتنا اليومية لايمكن أن تستمر كما هى لولا وجود كل أجزاء الكون البعيدة.. بمعنى أن الكون كجسد الإنسان يكمل بعضه بعضاً، وتأمل يا ولدى! قول الله تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ (القمر ٥٤ - ٤٩).. ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ (الحجر ١٥ - ٨٥)!.. وعلى كل يا ولدى! إرجع لكتاب الدكتور سعيد على غنيمة (أساسيات فى الجيولوجيا) ١٩٧٥ م لعل فيه الزيادة فى الشرح والإفادة!..

- وسألت ابنتى: ولماذا الخَوض فى موضوع ليس لنا به طاقة ؟!

- أجبت: يابنيتى! لنا وللناس جميعاً فطرة!.. فعظمة القرآن تتأتى فى بساطته الإختيارية.. فهو مع العقل حيث درجة العقل!.. وهو يحرك القلب بدرجة خشوع الأخير!.. وعظمة خطاب القرآن متمثلة فى بساطتها ونفاذها السريع إلى العامة والخاصة على حد سواء، لأنها تهز المشاعر والوجدان.. وترقى بأسمى غايات الشعور البشرى وهو الحب الإلهى.. فنحب الله أكثر مما نخاف الله!..

ويابنيتى! لاسبيل أمام البشرية لكبح جماح الغُلوّ والشطط إلا بتهذيب النفس بهدي رسالات السماء.. فى مقاومة هوى جمع المال.. وفى مقاومة ملذات وشهوات البطن والفرج والسمع والبصر.. وحينئذٍ يصير الإنسان إنساناً!..

- قالت الزوجة: ربما تثير الجلسة تفكيراً عقلانياً وتولد هموماً كثيرة ؟!

- قلت: يا أحباب! المسألة فى الهم قديمة!.. وشغلت بال دكتور ألكسيس كاريل مؤلف كتاب (الإنسان ذلك المجهول).. الذى حاز به على جائزة نوبل وحفر فى كتابه هذا قولته الشهيرة: (إن أولئك الذين يجدون من أنفسهم شجاعة كافية يدركون ليس فقط ضرورة إحداث تغييرات عقلية وسياسية وإجتماعية بل أيضاً ضرورة قلب الحضارة الصناعية وظهور فكرة أخرى للتقدم البشرى)!..

ومفهوم الفكرة التى ينشدها الكسيس كاريل هى الإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر!.. وهنا يزول الهَمّ، ويرتاح الإنسان، وينصلح البَال !..

- ثار ولدى وقال: دعونا نستمتع بالمنجزات الصناعية وترفها من: عربات، وطائرات، وصواريخ، وسفن فضاء، ومسكنٍ مجهز.. بالإنسان الآلى، والنداء النقالى، وشبكات للمواصلات تحت وفوق الأرض والنهر والبحر والخليج، وتكييف وترطيب وتجميد للأكل والأيس كريم، وأطباقٍ تلتقط محطات العالم التلفزيونية فى

حجرة النوم، وأجهزة تستقبلها فى القطار، والطائرة، واليخت، وعلى رمال الشواطىء، وفى معسكرات الاستجمام!.. أحلالٌ هذا كله فى حياة الغرب ؟!.. حرامٌ علينا ؟!..

- قلت: يا ولدى ! إرجع للتاريخ.. تجدهم نهبوا الشعوب ونقلوا الثروات .. وسرقوا العقول والعلماء .. وأسسوا البنوك .. واستجلبوا الحسابات .. وإحتكروا التصنيع .. وفرضوا الأسواق .. وقيدوا الإستثمار .. وتواحدوا فى الزراعة، والصناعة، والتجارة، والعلم، والثقافة، والمؤسسات البرلمانية، وحتى فى إدارة الأزمات إتحدوا .. أهدافهم واضحة .. إستراتيجيتهم إتفاقية!.. يا ولدى! سادوا وتسيدوا لأنهم أقرب إلى إستخدام المنهج الحياتي القرآني.. منهج إعمال العقل.. وفهم الكون ومكوناته.. وإستفادوا وإرتفقوا كل ما خلق الله من شىء.. وأجادوا الأعمال.. وأخذوا بأسباب القوة.. وفى كل شىء!..

لكن يا ولدى! حضارتهم المعاصرة هذه حققت تقدماً كبيراً فى علوم الجماد والحياة.. وفشلت فشلاً ذريعاً فى تقديم الجديد فى علوم الإنسان !..

نحن جميعاً.. وهم معنا يا ولدى !.. نحن أمام مأزق عدم التوازن.. وأمام برجلة واضطراب بين العلوم الجمادية والعلوم الإنسانية الحياتية !..

نحن المسلمين ضحايا التأخر فى فقه علوم الحياة!.. والمخجل حقاً أننا تخلفنا فى علوم الجماد وبصورة أشد!..

- سألت إبنتى: وما الجديد الذى قدمته ؟!

- قلت: الجديد يابنيتى! فى التوليف والتهميش والتعليق.. وأقصد بالتوليف تجميع المرامى والمقاصد!.. فمثلاً وأنا فى سنكم قرأت كتاب العصر (قصة الإيمان) لفضيلة الشيخ نديم الجسر مفتى لبنان.. وحديثاً قرأت كتاب (كيف نتعامل مع القرآن) لفضيلة الشيخ محمد الغزالى، وكتاب (تفصيل آيات القرآن) للبروفسير الفرنسى جول لابوم.. وقضيت حياتى.. من سنكم وحتى الآن.. بين الحقل، والمصنع، والمعمل، والجامعة، ومعترك السياسة، والمكتبة، والمنتدى الثقافى - فى جو ومناخ موضوعات الكتاب.. وذكرت بعضاً مما قرأت فى آخر الكتاب تحت مسمى (أهم المراجع والمصادر).. وذهبت أدرس علم الكمبيوتر وإستخداماته.. فهو يحمل فى التضمين جزءاً من حياتى الذاتية!.. وربطت فى

الكتاب بكليته بين ثلاث:

١. الايمان..

٢. علوم الجماد والحياة..

٣. التصنيف الموضوعى لآيات النظر فى الكون والقرآن!..

وكان هيكل الكتاب على الصورة التى أتركها لكم.. حتى إذا تقدم الزمان، وتبدل العلم والرأى.. إجلسوا إلى الكمبوتر وإحقنوا هوامشكم، ونقوا آرائى وهوامشى.. ويبقى هيكل الأساس هو هو!.. ولن تجدوا أبداً من تناقض بين معارف وعلوم جيلكم، والتصنيف الموضوعى لآيات النظر فى القرآن ﴿فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً﴾ - فاطر.

تعديلاتكم ستكون بالطبع أدق وأثقب وأصوب.. لكن تذكروا أن عملكم المرتقب هذا لايعدو كونه تغييراً لديكور الحاشية والتهميش والتعليق.. وتأكدوا لو كرر جيل الأحفاد عمل نفس الشىء.. لبقى الأساس هو!! هو!!

يتغير التعليق والهامش.. إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها!.. وهذا هو التوليف المعاصر الذى حاولت تقديمه بعلوم يومنا هذا!!

- فالايمان والتصنيف الموضوعى لآيات القرآن باقيان خالدان!.. أما العلم وفقه الحياة ففيهما إختلاف المظهر لا الجوهر ؟!..

- قال ولدى الآخر: زدنا تفصيلاً ؟!

- قلت: يا أحباب! القران يقدم منظومة ربانية سماوية تربط بين: الكون، والإنسان، والحياة!.. فهو يرسم واقع الكون.. ويكلفنا بقراءته، وتعقله، وتدبره، والإنتفاع بكل ما فيه.. من كل شىء.. فى إطار ما أحل الله.. وما أحَلّ الله ورَخَّصَ هو الغالب والأعظم فى البر والبحر فى مملكة النبات والحيوان والاكل والشرب والزينة.. وما حَرّمَ الله ومنع هو النادر القليل - وجاء المنع والتحريم لمصلحة الإنسان!..

الإسلام.. دين فرد.. ودين جماعة.. ومنهج أسرة.. وفقه مجتمع.. وسياسة بشر.. وسلامة وسلام لكل الناس!.. وهو النسيج المتشابك المتين فى فقه الحياة.. يربط فى توازن سماوى محكم.. وفى إطار كل شرائع الله.. بين الغرائز البشرية والفطرة الروحانية!.. ما أحل الله لايُعد ولايُحصى!! وما مَنَع وحَرَّم - لا يُقارن ولايُذكر!..

- والنظرات الكونية القرآنية بشمولية المفهوم حَوَت وشَمِلَت الكون والقرآن

بغالبيتهما!.. ففى الغرب أدركوا روح القرآن.. كأثر للاحتكاك بحضارتنا إبّانَ الحروب الصليبية.. أخذوا منهجنا الكونى التجريبى وساروا على طريق سلفنا الصالح فكانت لهم حضارتهم المعاصرة.. أما نحن فأهملنا المنهج وضللنا الطريق فعشنا على حافة الحضارة المدنية الحديثة.. ونحن جميعاً فى أزمة.. تنذر بفوضى عالمية وهَرَج ومرج وقتل ودمار!.. وحتى ورغم أننا عُزّل من القوة.. وفقراء بخجل.. ومع ذلك شخصوا المسلمين عدواً لدوداً وحيداً ؟!.. ونحن نحن نستجدى رضا وصداقة الأعداء!.. لأننا إنصرفنا عن إستغلال خيرات أكوان الله فى الأوطان.. وإحترفنا الأقوال.. وتركنا الأعمال.. وبَعُدنا عن منهج الله ؟!..

- وأضفت قائلاً: يا أحباب! تذكروا قول حكيم: (أربعة طلبناها فأخطأنا طرقها: طلبنا الغنى فى المال، فإذا هو فى القناعة، وطلبنا الراحة فى الكثرة، فإذا هى فى القلة، وطلبنا الكرامة فى الخلق فإذا هىَ فى التقوى، وطلبنا النعمة فى الطعام واللباس فإذا هى فى الستر والإسلام).. يعنى فيما يستر الله من العيوب والذنوب. بمعنى أننا مطالبون بأن نرجع الى روح القرآن لنفسر ظواهر الكون والحياة. والعكس غير جائز فلا يصح أن نوقف معانى القرآن على المعارف البشرية، أو حتى على إجتهاد العلماء المحدثين. وصولاً إلى فقه حياة مستقرة هادئة وادعة واعدة بما هو أضمنُ وأحسنُ!..

- سأل ولدى: ومَا العلاقةُ بين الإسلام والحضارة ؟!..

- قلت: ياولدى! الإسلام دواماً فى تعانق تبادلي تأثيري مشترك مع الحضارات البشرية.. وماكانت هناك غربة تاريخية قديمة بين المسلمين الأوائل وحضارة النهر والتوحيد والعلوم التى ازدهرت فى مصر قبل الإسلام.. بل إن مصر المسلمة ازدادت بالإسلام ثراء ودعمت أركان الحضارة الإسلامية فى تواد وتحاب وعناق.. وكذلك فإن حضارة فَارس تعانقت وحضارة الإسلام الشابة.. وتكاملت روافد الحضارتين فى مَصب حضَارة الإسلام.. وبالتالى فلا غُربة محتملة بين الحضارة الصناعية المعاصرة وحضارة الإسلام السابقة واللاحقة بإذن الله تعالى.

- فالإسلام انتشر فى الهند والصين واليابان وجنوب شرق آسيا وفى أغلب دول القارة الافريقية بالقدوة الحسنة والمسلك القويم والتاجر الصدوق!.. ولم ينتشر الاسلام فى هذه الاماكن بالحروب.. ونذكر أن تعداد مسلمى هذه المناطق أكثر من أربعة أمثال مسلمى العالم العربى؟!.

فحَقيق على كل مسلم أن يعمل ويجتهد فى حقله ومعمله ومصنعه ومتجره إتقاناً للأعمال وأداءًا لدور حضارى هيأته له الظروف الدولية الحالية فالساحة خالية تماماً بعد فشل العقائد الإصلاحية للشيوعية والرأسمالية على حد سواء.. ويستطيع المسلمون بالقدوة والعمل الجاد والمتقن الوصول إلى وجدان الشعوب المتلهفة لملء الفراغ الروحى العملى الحياتى المعاصر..

ورسالة القرآن تصل إلى كل سامع وكل مبصر ﴿أسمع به وأبصر﴾.. وماتراجعت الحضارة الإسلامية.. بل تراجع المسلمون وأضاعوا التاريخ وضاعوا.. وأصبحنا تُجار كلام ووطنية، وتجار تحف حضارات قديمة!.. ومع ذلك فإن الإستنهاض الحضارى قائم ممكن متاح، وفى فترة عقدٍ من الزمان.. يقل أو يزيد قليلاً.

- سألت إبنتى: وهل مادة مدارسة الكتاب موجهة للمسلمين فقط ؟!

- أجبت: يابنيتى! الإسلام دين عام.. لكل الناس.. ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾.. ﴿وأرسلناك للناس رسولاً وكفى بالله شهيداً﴾.. فالدارس لفقه الأمام مالك يستوقفه أنه شغل نفسه بتفسير الحياة بروح النص القرآنى وسيطر هذا التزاوج بين القرآن وفقه الحياة على عقل الإمام ووجدانه.. حتى أنه قال: (لا أعلم شيئاً يحتاج إليه فى الحياة إلا وجدته فى القرآن).. ويابنيتى! لابد أن تدركى أن الكون والحياة الدنيا خلقت وسخرت للناس جميعاً!.. والقرآن يُثير الناس جميعاً لإعمال العقل والفكر.. والإستزادة بالعلم والتعلم.. والأخذ بأسباب القوة والكسب.. والإستمتاع بنعيم الدنيا وبهجتها جنباً إلى جنب مع التزود للحياة الآخرة!.. ولا عجب فالقرآن قد حوى كل سوابق تعاليم السماء إيماناً وخُلقاً وسلوكاً.. وللقرآن فى فقه الحياة مرجعية الوحى الرباني المطلق!.. فالقرآن يابنيتى! لا يتقادم أبداً.. فهو القديم المتجدد.. والجديد الذى لا يتقادم أبداً!.. أبداً!.. هو الحكمة الإيمانية الخالدة!

- سألت زوجتى: هل نحن فى موقف التحدى الحضارى ؟!..

- أجبت: بل نحن فى موقف الإستنهاض الحضارى.. وهم فى الغرب يتوهمون أننا فى موقف الهزيمة الحضارية.. وأقول أننا قَبلنا الهزيمة مبكراً.. وعبرنا مرحلة التخطى.. فى حرب السويس سنة ١٩٧٣ م.. ونحن الآن على أعتاب مراحل الإستنهاض الحضارى.. وهذه مرحلة جاد شاقة، تحتاج لترتيب وحشد كل

الموارد، وتتطلب التدنى بحدود الإشباع، وتستوجب الإرتفاع بعوائد المدخرات الوطنية وتوظيفها فى الإعمار والتنمية.. وجديرٌ بنا أن نشجع المُنتَج المحلى.. ونرتقى به.. ولا أشك فى أننا سنحقق نصراً حضارياً، لو أننا تعاملنا مع الحياة بكليتها (فى كل شىء)، وبلا تجزىء (لأى شىء)!..

- سأل ولدى: هل نعود إلى التقاليد ؟!..

- قلت: ياولدى! أشرح لك مفهوم التقاليد.. لم أسمع أن فى اليابان تقاليد قديمة، وموضة جديدة.. بل التقاليد ياولدى! هى الموروث الحضارى الإيمانى والثقافى والخلقى للشعوب.. فالإسلام يحدد شخصية الإنسان فى حياته الباطنة وحياته الظاهرة.. ولا تنسى ماقرروه فى الغرب فى كتاب العظماء مائة أعظمهم محمد ﷺ.. فعندنا المعيارية الثقافية والأخلاقية فى القرآن والسنة.. وحياة محمد ﷺ، ومن تبعه.. من الخلفاء، ومن السلف الصالح، ومن علماءنا المبرزين فى العلوم والحُكم والحِكمة، نملك تقاليدٌ هائلة أعتقد لا إختلاف عليها ولا جدال!.. فهل نسلك مسلكهم، وننهج نهجُهم، ونبتغى مُبتغاهم ؟! وأفهم التقاليد كذلك أن الواجب يقتضينا نقل علوم الجماد من كل صوب وحدب.. نُغَربِل ونَتَخَير التكنولوجيات المعاصرة ونحسنها ونجدد ونجود عليها ونُكَثف الإنتاج ونُنَافس بإنتاجنا وباتقاناتنا!.. وهذا تقليد من تقاليد السلف يا ولدى!! وأمرنا الرسول ﷺ بأن يبنى كل هذا على العلم فقال ﷺ: ﴿إطلبوا العلم ولو فى الصين﴾ !!

- أما ياولدى! إذا كان مفهوم الحداثة هو الأخذ بالنمط الغربى فى السلوك فهذا هو الذوبان.. أو إن شئت قل التذويب فى الغرب!.. وحسبى أنكم ترفضون ذلك.. لأن باطننا مختلف تماماً.. فيستحال اللقاء بين الظواهر.. وأكرر يا ولدى أن الإسلام يحدد شخصية الإنسان فى حياته الباطنة وحياته الظاهرة.. ومع ذلك لابد أن تتيقن ولدى! أن الإسلام يرخص لمعتنقه بالتشدد حينما يكون التشدد مطلوباً، ويسمح بالترخص حين تدعو الحاجة لذلك بظروف الحال والمكان والزمان!، وأسهم الكثير من المفكرين فى طرح موضوع الحضارة بين الأصالة والمعاصرة، وهذا هو الطريق والغاية!، ويا ولدى! إذا فهمت التقاليد الإيجابية.. على أنها.. إرادة وأصالة.. واستنهاض حياة بخُلُقٍ صادق أمين.. وصولاً إلى إعمار وتعمير وتحضر.. حينئذٍ يتماثل ويتَوَحدُ فِكرُنا!

- قال ولدى: الآن فتحنا باب الحوار.. فكيف السبيل لحوارات تفصيلية ؟!

- قلت : يا ولدى! التحديد ليس من عندى! بل العكس فهو يأتى نتيجة اهتمامات وثقافات فردية.. بعضُها عام.. نتواصل فى حواراته بخطاب إعلامى عام!! بمجمل معارف عامة.. والآخر.. يحتاج برامج وندوات وورش عمل وبحوثاً ومؤتمرات.. وحوارات هذا النوع تتم وجهاً لوجه - لإنها ذات طبيعة تخصصية!.. ثم ما نلبث أن نجد أنفسنا فى حاجة إلى التبسيط وصولاً لتحقيق الفائدة المعرفية لجمهرة أكبر.. وهى أصول علمية معروفة لعلماء الإتصال والتنمية والتغيرات الإجتماعية.. وهذا هو السبيل الوحيد لخلق جو المشاركة الإيجابية فى تهيئة الجو التنموى العام بشقيه الإقتصادى والإجتماعى!!

- وعلى كل فموضوعات الجزء الذى بين أيدينا نظرات بين الكون والقرآن هى إتفاقية.. لانها متعلقة بعلوم جمادية تُرصد بمنهج علمى معروف ونتائجها توصلنا إلى حقائق مرحلية، دقتها تتوقف على تدقيق الفرضية، وعلى دراسة كل عوامل التأثير والتأثر الكونية، مع ضرورة إعتبار معاملات تكرار المدد والأزمان على الأشياء والظواهر.. وهذا أمر فى تبديل وتغيير مستمرين فحركة الكون صاخبة جداً، وسريعة جداً، والأزمنة الكونية فى تبدل وتقارب مضطرد. من هنا فلا ثبات لعلم فكل يوم والعلم فى شأنٍ وحالٍ. ولا رأي مقطوع به علمياً إلا إذا تعلق بسنة كونية!.

- قال ولدى الثانى: وبماذا نبدأ ؟!..

- قلت: يا ولدى! فى منظومة الخلق لاتوجد بداية ونهاية.. فنبدأ بما بدأ به القرآن.. إن شاء الله تعالى نبدأ بالمنظومة السماوية.. ثم نثنى ونكمل بمنظومة الأرض!. فالأرض عرضٌ.. يا ولدى!.. ويوصى اليهود أبناءهم على لسان أنبيائهم بنداءٍ بطلبٍ ووصيةٍ: (يا بنى إشتَرِ الأرض فإنها الشىء الوحيد الذى صنع مرة واحدة)!.

- فالانسان والماء والأرض هم الزاد والزواد.. فى نشاطات اليابس والبحار وحتى فىنشاطات الجو والفضاء والهواء، فهم إرادة كل حياة الكون الذى نعرف. - وعليه فنتبع منظومتى السماء والارض بنشاطات البشرية فى الفضاء!.. فهذه النشاطات مجتمعة تغطى المكان والزمان والانسان فى فقه الحياة يا أحباب!.

أما أحوال حياة الانسان وفقهها فمؤجلة حواراتها لحين عرض مُدَارَسَتِنَا

(الإنسان فى آيات القرآن) .. خَلقه، ووجوده، وحياته، ونشاطاته، ونظمه الاجتماعية والاقتصادية، وهذا موضوع كتابنا القادم بإذن الله تعالى.

- قال ولدى: كيف تُحَمِّلُنَا أمانةً تاريخيةً ؟!.. لا طاقة لنا بحملها ؟!

- قلت: ياولدى! كنتَ مثلكم ويزيد.. أكثر خوفاً وأكثر تهيباً حين بدأت فى المجال هذا وليس لى به طاقة ؟! .. وقذف الله فى قلبى بنية العمل، وبغاية المراد.. هوِّنُوا الأمر يا أحباب! ففى الصين يرددون حكمة تقول: (لا تطعمنى سمكة وخير لي أن تعطنى سنارة وتعلمنى الصيد)..

ونحن هنا أمام موقف أفضل بكثير.. فالتصنيف الموضوعي لآيات النظر فى القرآن مدونٌ لكم وللآخرين.. إيمانكم بالله محقق، والحمد لله.. سجلوا تجاربكم وتجارب الآخرين.. وجددوا خبراتكم ومعارفكم وتَجَدَّدوا فى فقه حياتكم.. فهناك فقه جديد فى الصناعة إختاروا له لقب التجديد RENEWING .. وليس بعسيرٍ أن تجددوا تهميش الكتاب، وربما تكون هناك سعة لمنتدى يُسَهل العمل.. هى وصية لكم.. وهو رجاء لأولى الالباب !! ليتواصل العطاء.. وعلى الله قصد السبيل.. ﴿وقل رب زدنى علماً﴾.. والحمد لله رب العالمين !!

الجلسة الثانية — تفصيلات محتوى الكتاب

- فى جلستنا العائلية الثانية إمتد الحوار حول تفصيلات محتوى الكتاب.. باغتنى ولدى الصغير سائلاً.. متى ؟! وكيف ؟! وأين؟! بدأ التفكير فى هذا المحتوى ؟!

- قلت: يا ولدى! فى سنة ١٩٦٨م كان بَرد أوكرانيا القارس قد تمكن منى.. وذهبت إلى مصحة فى القوقاز فى بلدة (يسنتوكى) وفى منطقة جبلية تسمى (بياتى جورسك) قضيت ثلاثة أسابيع.. فى علاج بالماء المعدنى المشع.. تقابلت مع عالم روسى كبير أخذ يحدثنى كثيراً عن علوم الكون والفيزياء وعن القرآن وما أورده من آيات كونية عظيمة فى حاجة إلى تدبر وتفكر دائمين.. وفى عام ١٩٦٩م.. وكنت قد إنتهيت من دراسة الدكتوراة، تقابلت مع عالم روسى آخر.. حدثنى كثيراً عن فضل الإسلام على البشرية وذكرنى أن علياً ابن أبى طالب فى رسالته الشهيرة لمحمد ابن أبى بكر إبان ولاية الأخير حكم مصر.. وكان القحط قد حل بالديار المصرية وتشدد

الوالي.. المعين من قبل أمير المؤمنين على ابن أبى طالب.. فى جمع الخراج، وإشتكى المصريون واليهم لأمير المؤمنين على ابن أبى طالب فبعث إليه أمير المؤمنين على كرم الله وجهه برسالة يعتبرها علماء الإقتصاد والإجتماع أنها أساس متين لتحديد مفهوم الدولة، وحتى عصرنا هذا.. حيث كتب له آمراً موجهاً: (عليك بالإشفاق فى جمع الخَرَاج، فالناس كلهم عيَالٌ على الخَرَاج، ولابد أن تقترن جبايتك للخراج بالعمارة، أما نصيبك منها فلابدَ أن يكون بقدر حاجتك، فإن زدت فإنك ستكون عظة وعبرة لمن يلحق). والسلام، على ابن أبى طالب.. ولجأت إلى الوالد الأستاذ حسن كامل الملطاوى ووجدت عنده المنهل والعطاء وزادنى فى الأمر وأفاض كثيراً.. وكثيراً جداً.. حيث أمدنى بكتاب أمير المؤمنين علي ابن أبى طالب إلى عماله على الخراج وجاء فيه: (أنصفوا الناس من أنفسكم، واصبروا لحوائجكم، فإنكم خُزّانُ الرعية، ووكلاء الأمة، وسفراء الأئمة. ولا تحشموا أحداً عن حاجته ولا تحبسوه عن طلبته، ولا تبيعن الناس فى الخراج كسوة شتاء ولا صيف، ولا دابة يعتملون عليها، ولا عبداً، ولا تضربن أحداً سوطاً لمكان درهم، ولا تمسن مال أحد من الناس مصل ولا معاهد، إلا أن تجدوا فرساً أو سلاحاً يعدي به على أهل الإسلام، فإنه لا ينبغى أن يدع ذلك فى أيدي أعداء الإسلام فيكون شوكة عليه. ولا تدخروا أنفسكم نصيحة، ولا الجند حسن سيرة ولا الرعية معونة، ولا دين الله قوة. وابذلوا فى سبيل الله ما استوجب عليكم فإن الله سبحانه، قد اصطنع عندنا وعندكم أن نشكره بجهدنا، وأن ننصره بما بلغت قوتنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم).

كما أثارنى الأستاذ حسن الملطاوى بكتاب تكليف من أمير المؤمنين على بن أبى طالب إلى الأشتر النخعى (مالك ابن الحارث) حين ولاه على مصر.. وفى إستهلاله يقول: (هذا ما أمر به عبد الله على أمير المؤمنين، مالك ابن الحارث الأشتر فى عهده إليه، حين ولاه مصر، جباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها..). وهزنى مالم أسمع به من قبل (إستصلاح أهل مصر.. قبل إعمار بلادها) ؟!

وفى شتاء ١٩٧١م وفى جلسة للشيخ إسماعيل الصادق العدوى أفاض فى شرح تعطيل قانون الجاذبية المعروف.. بالآية الكريمة: ﴿أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن مايمسكهن إلا الرحمن﴾ الملك.

ومنذ ذلك التاريخ يا ولدى! شغلتنى المسائل سعياً وفكراً وتبصراً وتدبراً.. وكان أخوك قد جاوز الأربع سنوات، وأختك جاوزت الأربع شهور.. أما أنت فولدت

بعد هذا الأوان بثلاث سنوات.. وبدأت تجميع مادة الكتاب العلمية منذ سبع سنوات خلت..

- وقلت: أما عن كيف ؟! يا ولدى ! فأمر سيبقى فى أذنى وذاكرتى ما بقيت الحياة.. ففى أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات، كنت مهموماً وبكرب شديد لحال مصر والعرب والمسلمين عن حب وإيمان وعقيدة.. ورثت العقيدة عن جدى لأبى وعلى إسمه نادونى - وكان رحمه الله وجيهاً فى قومه ومن حفظة القرآن - وعن أبى الذى ما رأيته قط يعرف اللين فى الحق.. زاد على ذلك ورسّخ الشيخ إسماعيل الصادق العدوى حين هزنى فى شتاء ١٩٧٢م. قائلاً: (يا هذا..؟! لا تُعَاتب طالما أن فى السماء كاتباً).. ومن لحظتها بدأت أعنى بجوهر مسائل الحياة تأثيراً وتأثراً بفكر منفتح وفى إطار إيمانى.. وجدت أن التصنيف الموضوعى فى القرآن يعطى الدليل والمنهاج لفقه الحياة.. وأيقنت أن الفهم الكلى الموضوعى أساس للبناء العقلى السليم للموضوعات الحياتية القرآنية.

- تتبعت النداءات فى آيات القرآن: ﴿يا آدم﴾.. ﴿يا بنى آدم﴾.. ﴿يا أيها الناس﴾.. ﴿يا أيها النبى﴾.. ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾.. ﴿يا موسى﴾.. ﴿يا عيسى ابن مريم﴾.. وقفت طويلاً متأملاً سير الأنبياء والرسل.

- وتتبعت كذلك الأمر والنهى والإستفهام والتوبيخ والتعجب فى القرآن الكريم فوجدت نسيجاً حياتياً علمياً عجباً.. فيه تكامل العلوم والفنون والأخلاق والأعمال والمتعة والزينة والتزين للحياتين الأولى والآخرة.. وعندئذ فهمت جوهر ومقصد معنى أول أمر إسلامى ﴿إقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الإنسان من علق، إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم﴾ العلق.

- وأدركت لماذا لايقع التكليف فى الإسلام إلا على عاقل.. فعن على كرم الله وجهه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿رفع القلم عن ثلاث: النائم حتى يستيقظ، وعن الصبى حتى يشب، وعن المعتوه حتى يعقل﴾.. سنن الترمذى، سنن ابن ماجة، مستدرك الحاكم - الحديث رقم ٣٥١٤ فى صحيح الجامع.

- تيقنت يا أحباب! أن الإنسان كائن مُكلف: بالتفكير، والعمل، والعبادة فى شتى الصور، إقامة الأركان، والعمل، والكد، والكدح، والإبتغاء، والإعمار، والتعليم،

والتعلم، والتفكير، والجهاد فى سبيل الله، والأخذ بأسباب القوة روحياً ومعنوياً ومادياً، وإعمال السنن الإلهية.. من نكاح، وتكاثر، وهجرة وإحياء موات الأرض .. ﴿لايكلف الله نفساً إلا وسعها﴾

- فهمت القراءة يا ولدى ! على أنها قراءة عقل وقلب.. ولنتأمل قول الله تعالى: ﴿أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ (الحج٢٢:٤٦)

- فهمت أن القرآن ما أنزل إلا للعقلاء ذوى البصائر.. ونرجع إلى قوله تعالى: ﴿لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين﴾ وحياً أىّ عاقلاً (يس٣٦:٧٠)

- فهم القرآن ياولدى ! فى حاجة إلى اللسان القئول، والقلب العقول.. قرآن قلب، وعقل، ولسان(لغة)، وعمل حياتى، وأخلاق ؟!

- وفهمت أن من هدف خلق الكون هو إستخلاف الإنسان فى الأرض..

﴿خلق لكم ما فى الأرض جميعاً﴾ ..

- وأدركت أخيراً يا ولدى ! أن القراءة الكونية التى نحن مطالبون بها هى البحث وإعمال العقل والتجريب فى جوهر كل شىء.. وأثر وتأثير كل شىء على بقية الأشياء.. نحن مكلفون ياولدى بالإنتفاع من كل شىء فى الكون.. نحن مكلفون بإعمار الأرض، وجلب السعادة للإنسانية كلها، التى إستخلفها الله فى الأرض ..

- سألت إبنتى: هل كتابنا هذا يحوى تفسير للآيات الكونية فى القرآن ؟!

- أجبت: لا يابنيتى ! هذا ليس بكتاب تفسير للآيات الكونية، فهذا شأن له أهله، وأصوله، ومعارفه، وفقهاؤه.. وهو ليس بكتاب تخصص فى علم من علوم الحياة.. توحيد، إيمان، جغرافيا، فلك، رياضة، هندسة، زراعة، بحار، تشريح، أجنة، طب.. فهذه فروع لها معارفها ومناهلها وفقهاؤها أيضاً.. وهذا ليس بمعجم لألفاظ، أو لبعض معانى وإشارات القرآن الكونية.. فالمكتبة العربية تذخر وتعج بعظيم الاعمال للسلف والخلف على حد سواء.. وهذا العمل أقرب مايكون للتبويب الموضوعى لآيات النظر فى القرآن وفى الحياة قديمها وحديثها ومستقبلها..

- صدقونى! فإن التعرض للكتابة فى آيات النظر الكونية القرآنية - مغامرة وجرأة.. الذلل فيها ليس بالخطأ، لكنه الخطيئة.. ورجفة الكتابة فى هذا المجال تفقد القلم وصاحبه جرأة وجسارة الإقدام.. فإتمام هذه الأعمال من نافذة قرآنية يحتاج إلى إمكانات أمة وجهود كل رجالها.. إستنهاضاً لحضارة تليق بشرف

الإنتماء للإسلام..

- وحسبى بهذا الجهد تبسيط وتجسيد ومحاولة فهم آيات النظر القرآنية، ونقلها إلى جمهور الناس من المسلمين وغير المسلمين.. فى مجال سائر مخلوقات الكون - السماء، الأرض، المجرات، النجوم، الشموس، الأقمار، الشهب النيازك، الجبال، اليابس، البحار، الأنهار، الرياح، السحاب، البرق، الرعد، الصواعق، الزمن - الليل والنهار، حركة وسبح الشمس والقمر، وحركة الكون التى لاتهدأ، والغلاف الجوى الحاضن لنا الساقف لحياتنا بحيويته التى لاتنتهى..

- ونعرض فى هذه الدراسة للحياة الكونية فى اليابس والبحار.. لحياة النبات والحيوان والانسان.. لا لشىء إلا لاننا مكلفون شرعاً بالإرتفاق والانتفاع من كل شىء خلقه الله فى الكون.. وهذا هو جوهر سُنَة الخلق.. وسُنَة التسخير..

﴿خلق لكم ما فى الأرض جميعاً﴾ (البقرة٢: ٢٩) ..

﴿سخر لكم مافى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ (لقمان٣١:٢٠)..

- خلق هادىء وديع طاهر نقى طيب، ونعبث به مُفسدينَ وفَاسدينَ. خلق يسعد فيه الموحد، ويشقى فيه الملحد. يهنأ به المبتغى ويتعس الباغى. سعيد من أصلح الله باله، وأسلم وسَلمَ قلبه وخشعت نفسه وأعمل عقله ونقى هواجسه. فلح من آمن بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر وصدق مع ذاته ومع ربه وتاب وأناب وعمل عملاً صالحاً واتقى الله حق تقاته.

- سأل ولدى الأكبر: لماذا تُقصر الكتاب على آيات النظر فى القرآن ؟!

- قلت: يا ولدى! آيات النظر فى القرآن يكلفنا الله تعالى فيها بالتدبر والتفكر ومعرفة كل شىء عن طريق العقل، فمن ينظر يُبصر، ومن لم يبصر يبقى فى الظلام حيراناً قلقاً.. ومن يتحير ويقلق يشك.. ومن يشك ويعقل ينظر ويبصر.. ويصل إلى إيمان القطع واليقين.

- وآيات النظر فى القرآن هى براهين حسية موصلة لإيمان القطع واليقين، لا لقلق الشك والتخمين.. بهذه الآيات، وعلى أساسها يبنى ويتشيد التوحيد والإيمان الخالص لله رب العالمين..

- ورأيت ياولدى! أن الآيات الكونية القرآنية آيات عقل وعلم وإيمان وحياة.. ذات تكليفات وتأثيرات عقلية حياتية كلية جامعة:

- أولاها: الاعجاز الحسى لقدرة وعزة وحكمة وابداع الله سبحانه وتعالى.
- ثانيتها: التحفيز والاستنهاض للأخذ بفقه الحياة - فى الاطار الايمانى لحياة الانسان النفسية، والقلبية، والعقلية، والفكرية، والتربوية والتعلمية!
- ثالثتها: التكليف الحياتى بالعمل والسعى والكد والابتغاء لحياة أفضل للانسان وأسرته ومجتمعه وأمته.
- رابعتها: تقويم الحياة الخلقية والسلوكية للفرد والمجتمع، ولأولى الأمر وللناس على حد سواء.
- خامستها التذكير بآثار السلوك الشاذ، وما يترتب عليه من اضطراب واختلال وفساد وفوضى ودمار.
- سادستها: وسطية الاسلام فى طبيعة العقد الاجتماعى بين الناس فى خصوصيات المساواة، الحرية، العدل، الشورى، تحريم الربا - بما يضمن استقرار واتزان الحياة فى الأسرة والمجتمع.
- سابعتها: آيات النظر فى القرآن - هى آيات لسنن ثابتة ؟! ..

- والنظرات هنا هى توليفة لتصنيف قرآنى موضوعى.. وهى من ثوابت توجيهات الحق سبحانه وتعالى.. وهى تنفيذ لأوامر وأحكام، كما أنها ليست من باب الرأى؟!..

- دورنا هنا يا أحباب! دور الناقل لسنن كونية ثابتة خالدة ما بقيت الحياة على وجه الأرض.. ونحن مكلفون بإعمال العقل للتعرف على هذه السنن والسير على هديها المستقيم علمياً وإجتماعياً فى نسيج مترابط بين العلم والإيمان والحياة.

- قفزت ابنتى سائلة: ألم يُبْهِرْكَ شىءٌ بذَاته ؟!
- قلت: يابنيتى! وقفت مبهوراً أمام الرَبطَ الايمانى بين الحياة وسنن القرآن.. وقفت أمام سنن التدرج، والمدافعة، والتداول الحضارى.. فوجدت أن النظم السياسية المعاصرة تواجه أزمة فكرية مدمرة..
- فالاشتراكية مثلا وهى مذهب التقارب المادى المقيد للحرية.. (حيثما المساواة لا حرية).. فى طريقها للتحلل والوداع من كوكب الارض، بسبب الاختلال فى التوازن بين المساواة والحرية.
- والرأسمالية والتى هى مذهب الربحية الحرة، المقرونة بديموقراطية الاجل، المفتقرة إلى العدل الاجتماعي.. (حيثما الحرية لا مساواة).. تواجه هى الأخرى

أزمة كساد فى مجتمعاتها، وفى العالم أجمع..

والكساد العالمى العام ينبىء بأننا على بوابة مرحلة بشرية يسودها قلق واضطراب وفوضى وفساد فى كل شىء.. فى كل دول العالم.. بسبب غيبة الدافع الإيمانى فى المذهبين.. وبسبب الصراع والتجزىء بين قيمتين كونيتين إنسانيتين.. فطريتين متلازمتين وأساسيتين.. الحرية والعدل ؟!

- وعجبت واستغربت أن مفكرى النظامين يرتد كل منهما فى إطار فكر ومسرح النظام الآخر.. فالرأسمالية ترتد إلى الإشتراكية.. والإشتراكى ترتد إلى الرأسمالية.. وكليهما يقترب بالحتم والضرورة فى النهاية إلى الاشتراكية الديموقراطية كنظام مهجن .. والهُجن لاتنجب يا أحباب ؟!

- هذه النظم الثلاث تكابر وتعرض عن الإقتراب من الإسلام بتكامليته.. والعيب فينا؟! .. نعم !.. نعم العيب فينا.. لأننا لم نقدم نموذجاً حياً واحداً PROTO TYPE.. على سبيل التطبيق الواقعى.. أمراً بمعروف ونهياً عن منكر..

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ - آل عمران.

- وآيات النظر القرآنية والحال كذلك ثرية واسعة الثراء العلمى.. لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.. هى جديرة بالدراسة ليس فى المجال الكونى الضيق بل فى شتى مجالات الحياة.. فهى آيات ذات مرجعية مطلقة، أما العلوم البشرية التخمينية الفرضية ففى تغيير وتبديل بحسب دقة الفرضية ودقة القياس والتوقع.. فالبشر بشر.. يخطىء ويصيب.. أما آيات التنزيل فحق من حق.. من علام الغيوب.. من العزيز الحكيم.. سبحانه وتعالى.. من الله جل فى علاه.

- ويكفينا فخراً تلك الحرية العلمية الاجتهادية التى يعطيها الاسلام للعلماء من المسلمين ومن غير المسلمين وتأمل قول الله تعالى: ﴿لا إكراه فى الدين﴾.. حرية فى العقيدة.. مكانة خاصة للعلماء.. ﴿قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾.. ﴿يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات﴾.. ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾..

- نتأمل قول رسول الله ﷺ: ﴿ليس شىء من الفرائض أفضل من طلب العلم﴾.

- ويقول الإمام على كرم الله وجهه: (العالم أعظم أجراً من الصائم القائم

الغازى فى سبيل الله)..

- وينشد الإمام الشافعى فيقول:

يا معشر العلماء يا ملح البلد.. من يصلح الملحَ إذا الملح فسد

- ومع إتساع الموضوع وشموليته.. نقصر العرض على الكون والانسان فى آيات القرآن.. على أنها، وفى الاطار الايمانى.. هى المنجم الإتفاقى الفكرى بين البشر.. كل البشر.. من كل جنس ولون.. وفى كل مكان وزمان .. وهى سنن الله الثابتة..

﴿فهل ينظرون إلى سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً﴾ (فاطر٣٥: ٤٣)

﴿سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ (الأحزاب٣٣: ٦٢)

﴿سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ (الفتح٤٨: ٢٣)

﴿الله خالق كل شىء وهو على كل شىء وكيل﴾ (الزمر٣٩: ٦٢)

والكون هو كل ما خلق الله من شىء..

﴿وخلق كل شىء فقدره تقديراً﴾ (الفرقان٢٥: ٢)

- والانسان هو محور خلق الكون.. من أجله كان خلق الكون.. ومن أجله كان تسخير الكون.. ونتأمل قول الله تعالى:

﴿وهو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً﴾ (البقرة٢:٢٩)

﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾ (لقمان٣١:٢٠) وما كان الخلق لعباً. ﴿إنا كل شىء خلقناه بقدر﴾ (القمر٥٤: ٤٩)

- وما التسخير إلا قرين تكليف الانسان بالانتفاع والارتفاق بما خلق لله..

﴿أو لم يروا إلى ما خلق الله من شىء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون﴾ (النحل١٦: ٤٨)

- وبعد خلق الكون وتهيئته للحياة.. كان خلق الانسان..

﴿الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين﴾ (السجدة٣٢: ٧)

- وجاءت الرسالات السماوية لتبيان سنن الخلق والتسخير وما ينفع الانسان وما يضره فى الحياتين..

﴿وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء﴾

(الأعراف٧:١٤٥).. إلى أن جاءت الرسالة الخاتمة لسيدنا محمد ﷺ..

﴿ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ (النحل١٦: ٨٩)

- فالقرآن مرآة الكون - تبيان كل شيء.. ويفرض الله تعالى على الانسان فرائض: التفكير.. والتدبير.. والتوحيد.. والشكر.. وعبادة الله رب كل شيء ..

﴿ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل﴾ (الأنعام٦: ١٠٢)

- القرآن مرآة للكون وللحياة كلها.. وهو مرآة لحياة الانسان البيولوجية.. من حيث خلقه ووجوده وحياته ومماته وبعثه وحسابه.. والقرآن مرآة لحياة الانسان النفسية والقلبية والفكرية والعملية والمالية.. وهو مرآته الاجتماعية - في ذاته، وفي أسرته، وفي مجتمعه، وفي أمته..

﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ (الأنبياء٢١: ٩٢)

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (آل عمران٣:١١٠)

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ (آل عمران٣: ١٠٤)

﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا إهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ (المائدة٥: ١٠٥)

﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ (البقرة ٢: ٢٨٦)

﴿لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾ (الطلاق٦٥: ٧)

﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون﴾ (الصف٦١: ٣)

﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾ (البقرة٢: ٤٤)

﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾ (الشورى٤٢: ٣٨)

﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فأعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾ (آل عمران٣: ١٥٩)

وما من رسولٍ ولا نبيٍ إلا وقالها: ﴿إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ (آل عمران٣: ١٥٩)

﴿قل أغير الله أبغى رباً وهو رب كل شيء﴾ (الأنعام٦: ١٦٤)
﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ (الأعراف٧: ٥٤)
﴿الله الذى جعل الأرض قراراً والسماء بناءً وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين﴾ (غافر٤٠: ٦٤)
﴿قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين﴾ (فصلت٤١: ٩)

- فالإلوهية والربوبية والحال كذلك خلقٌ وإبداعٌ وتسخيرٌ وتسييرٌ وتدبيرٌ لكل ما فى الكون من ﴿كل شيء﴾ لصالح حياة الانسان فى الدنيا والآخرة ..

- ويكفى القرآن أنه وضع الانسان فى المناخ العلمى.. بالاثارة على النظر (بالسمع والبصر والفؤاد) فى الكون الجمادى، وفى المعارف الانسانية، وفى قصص الانبياء، وتاريخ الأمم والحضارات السابقة..
- ويكفى القرآن أنه يحض الناس على النظر والتفكر والتعقل للوصول إلى إدراك قوانين التسخير والارتفاق والانتفاع .. ومعرفة وإعمال هذه القوانين يحقق للانسانية الإعمار والتنمية المتكاملة - فى الحياتين..
- والقرآن كتاب مجيد كريم.. يعنى بالقديم والجديد - على حد سواء.. فهو والحال كذلك كتاب مستقبليات..
﴿وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون﴾ النمل.
﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ فصلت.

- سأل ولدى: هل معنى هذا إن القرآن ذاخر بالسنن المادية والاجتماعية؟!
- قلت: يا ولدى! القرآن الكريم كتاب ذاخر بالآيات والحِكَم الكونية والاجتماعية على حد سواء.. وتأمل قول الله تعالى:
﴿أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً فى الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق، ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله إنه قوى

شديد العقاب﴾ (غافر ٢١،٢٢)

فالفهم الصحيح للقرآن يلزمنا أن نقرأه ثلاث قراءات:

١. نقرأ الكون فى القرآن..

٢. ونقرأ الحياة الجمادية والبيولوجية فى الكون والقرآن.

نقرأ لنتعلم جوهر الأشياء.. ﴿إقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الانسان من علق، إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم﴾.. قراءة متكاملة كلية ..

٣. يتبع ذلك يا ولدى! أن القرآن يطالبنا بقراءة ثالثة وهى قراءة الحروف.

- ويطالبنا الله تعالى بأن نتعلم القراءة والكتابة والتدوين بالقلم لنستفيد بتراكم المعارف البشرية، ولنوصل حلقات العلم البشرى لكل زمان ومكان ؟! - فقراءة حروف اللغة هى لعموم الناس، أما قراءة حروف لغة نشاطات الأرض والكون وقراءة أسرار الحياة البيولوجية والجمادية فلخواص البشر؟!

﴿إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم، علم الانسان مالم يعلم﴾

فالقراءات الثلاث.. قراءة الكون، وقراءة الحياة البيولوجية فوق الأرض وتحت الثرى، وقراءة الحروف.. والقراءات الثلاثة وجه واحد متكامل لفقه الحياة، وهذا أساس، لا غنى عنه، يتكامل مع فقه العبادات والمعاملات.. وبهم الثلاثة يتكامل الفهم الصحيح لرسالة الاسلام الخاتمة الخالدة؟!

- وهذا هو جوهر ما فعله أسلافنا العظام.. الذين أفسحوا لدينهم مكاناً بارزاً فى مجريات حياتهم بحثاً وتنقيباً وكداً وكدحاً بين صلاتين.. صلاة المسجد.. وصلاة المعمل، والمختبر، وقاعة الدرس والبحث.. وهذا هو مفتاح الحضارة الاسلامية ..

- وخير تعليم للقرآن ولسننه المتكاملة بلغة تنزيله يا أحباب!.. اللغة العربية.. وهذه اللغة أسأنا معاملتها بالترك والإهمال.. وتفشى الهبوط إلى العامية.. حتى إن لغة الخطاب، والفكر، والثقافة، والاتصال، وهى لغة القرآن أصبحت فى حطر؟!..

﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ (الزخرف٤٣: ٣)..

﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ (يوسف١٢: ٢)..

﴿كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون﴾ (فصلت٤١: ٣)..

﴿قرآناً عربياً غير ذى عوج لعلهم يتقون﴾ (الزمر٣٩: ٢٨)

- من هنا فنحن مكلفون بإجادة اللغة العربية، ومكلفون بنشر تعليمها بين كل

الناس، وبين كل شعوب الأرض، ومن خاصتهم شعوبنا الإسلامية الغير ناطقة بالعربية.

- نحن مكلفون أيضاً بإجادة كل لغات العالم - كفرض كفاية.. ليتسنى لنا الاستفادة من علوم البشر على كوكبنا.

- وعلماء التربية يقررون أنك إذا سمعت نسيت.. وإذا رأيت ونظرت تذكرت.. وإذا عملت تعلمت؟!.. فالمنصت لما ورد بشأن سنن الكون، الراصد لها المتدبر فيها، الباحث فى مضمونها، الخاضع لها، العامل بمقتضاها - يسعد وينعم لا محالة بخيرات الكون، وإلا دارت عليه الدوائر وانقلبت عقاباً ووبالاً - إن هو جهلها، أو قاومها، أو أهملها، أو لم يخضع لها..

- هذا هو هو جوهر الأوامر والتكاليف القرآنية.. وهى هى جوهر العلم.. وجوهر الحكمة .. علم، وفن، وشعور، وممارسة، وجِد، وكد، وتضامن، وحرية، وعدل، ومساواة..

- وآيات النظر فى القرآن تثيرنا إلى التفقه فى كل ماخلق الله من شىء فى الكون.. ﴿إقرأ باسم ربك الذى خلق﴾ .. وتثيرنا لإيجابية العمل العلمى ﴿علم الانسان ما لم يعلم﴾ .. بالرؤية والنظر والسماع والتعليم والتعلم .. وهذا هو عين الابهار العلمى التجريبى القرآنى..

- وآيات النظر فى القرآن فيها تكليف لنا بإعمال العقل والفكر فى إطار السنن الكونية والاجتماعية - من خلق وتسخير وإرتفاق..

﴿خلق لكم﴾.. ﴿سخر لكم﴾..

- وآيات النظر فى القرآن تحضنا على الالتزام بالفطرة، والبعد عن الهوى، وأخذ السنن بكليتها.. سنة التسخير.. وسنة الأجل.. وسنة البقاء والفناء .. وسنة التدرج .. وسنة المدافعة في قوله تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ .. وسنة التداول الحضارى في قوله تعالى: ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾ .. وآيات النظر فى القرآن يستوقفنا فيها أن شمولية القرآن كشمولية الكون .. بمعنى أن القرآن كون معنوى .. ﴿ما فرطنا فى الكتاب من شىء﴾ - يطل بمرآته على الكون المادى ﴿كل شىء﴾ .. فالشيئية فى القرآن مرآة للشيئية فى الكون .

- والقرآن هداية ورحمة وبشارة للمسلمين .. ﴿ونزلنا عليك القرآن تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ (النحل ٨٩) .. والله يقسم بعظمة الكون على عظمة القرآن يقول تعالى: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لايمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين﴾ (الواقعة ٧٥:٨٠)

- وآيات النظر فى القرآن.. عقلية، علمية، روحية.. فقهها فقه العلوم العلمية العملية والاجتماعية والاخلاقية والايمانية.. وهذه العلوم لها أساليب قياس ومعيارية نتائج - بقدر التعمق فى مكنونها

- وحتى الأمثال القرآنية.. بدءًا من غراب هابيل وقابيل، والبعوض، والذباب، والنمل، والنحل.. تدحض إفتراءات النشوء والتطور والارتقاء وإنكار الربوبية.. وتعطى للانسان نموذجا راقيا فى التخصص، وفى السلوك الاجتماعى الانضباطى فى الجماعة.. اختصاص الأعمال.. جمع الغذاء، وتخزينه، عند وفرته - لوقت ندرته.. عيشة تحت سطح الأرض - أو فوق سطحها - أساسها النظام والنظافة..

- وآيات النظر فى القرآن .. هى أساس مكنون الحضارة الاسلامية .. وكذا هى أساس الحضارة الغربية التى نسخوها من حضارتنا الاسلامية .. وشيدوها عليها ؟! ..

نحن أثرياء أغنياء فى فقه العبادات والمعاملات على مستوى الفرد والأمة .. ولنا فيه ذخائر وتراث .. وللأسف الشديد إختلافنا فى هذا الفقه الواضح البسيط .. والأكثر من هذا أننا فقراء بخجل فى فقه الحياة وفقه الكون ؟!

- سأل ولدى: هل هذه أجندة؟!.. جدول أعمال؟!.. أو ماشابه ذلك؟!

- قلت: يا ولدى! هى هكذا تماماً.. فالعمل كبير.. وكبير جداً يا ولدى!.. يحتاج لمؤسسات وهيئات وجمعيات.. ومثلى ضعيف.. مسلم عادى.. تخصص فى بعض العلوم التجريبية.. وثقافته العلمية فى المستوى المألوف لانسان عادى.. شدتنى آيات النظر فى القرآن لسنوات.. حاولت فيها أن أعيش بكل شعورى مع موضوعات آيات النظر فى القرآن.. آيات الرؤية والابصار والتدبير والتعقل

والتفكر والتذكر والتبصر.. آيات (السمع والبصر والفؤاد).. وما غاب عنى لحظة إنزالها على الانسان - أى إنسان.. محل وغاية نزول القرآن..

- ووجدت عجباً فى الترابط الشبكى الموضوعى والموضعى من الناحية العلمية لمختلف النشاطات فى فقه الحياة والعلوم.. كل العلوم.. فى آيات القرآن.

- وسألت نفسى: هل أسبح فى هذا المجال وليس لى به طاقة؟!..
- قلت: على الله التوكل.. منه الجزاء.. ومنه المغفرة..
- آمنت بأن سر تخلفنا عن الركب العالمى مصدره الاختلاف والتجزيىء فى فقه العبادات والمعاملات.. فى ذات الوقت.. تغيبنا وبُعدِنا عن فقه الكون والجوامد وفقه الحياة.. الفقه الأشمل..
- حقيقة نحن أهملنا فقه التكليف بإرتفاق كل شىء والانتفاع من كل شىء.. فقه التدبير.. وفقه إرادة الحياة.. وغبنّا وابتعدنا عن الفقه الكلى للقرآن.. وفعلاً قلت لنفسى الحصيلة هذه إطار.. نعم إطار.. هى جدول أعمال للمتخصصين، كلٌ فى حقله، أو فى معمله، أو فى مصنعه، أو مكتبه، أو حتى فى لحظة تأمله.. - جدول الأعمال هذا.. لاخلاف عليه بين أبناء الأمة.. ولا حتى بين أبناء الأوطان من المسلمين وغير المسلمين.. وهذا فى حد ذاته كافٍ للطرح العام.. من الناحية الشكلية، والموضوعية، والغائية..
- أستشعر الخير فى الإهتمام بفقه الكون والحياة فى القرآن.. فبهذا نُحد ونُقلص من الخلاف الذى لاجدوى من ورائه فى فقه العبادات والمعاملات.. وبهذا قد نُقدم على مختلف نشاطات الحياة بأسباب القوة والتقدم، والإعمار، والحضارة.. ملتمسين سنن السلف الصالح، من علماء المسلمين وغير المسلمين، فى الأقطار الإسلامية.

- سألت نفسى ؟! هل لهذه الأجندة.. لجدول الأعمال هذا.. مؤسسات وهياكل وآليات بذاتها تعنى بالعناصر ؟!.. وهل لجدول الأعمال هذا ؟! حدية عمرية للناس المطروح عليهم عناصرها ؟!..
- ووجدت الإجابة.. أن الأجندة المقترحة تصلح إطاراً للمؤسسات العلمية والتعليمية والبحثية والتدريبية القائمة.. وتصلح كذلك للكيانات الذاتية والخاصة - للفرد وللاسرة.. وتصلح لكل الأعمار التى تُثقف ذاتها، أو تُحاول أن تَتَعلم، أو

أن تتدرب - على فنون الحياة وحِرَفِهَا.. بمبادرات ملتزمة بالغاية وبالوسيلة..

- جدول الاعمال هذا نظرات ذاتية.. عشتها بإحساس صادق مع آيات النظر فى القرآن من حيث الهدف والغاية. أعْمَلْتُ فيها قلبى وعقلى إبتغاء مرضات الله .. هى نظرات فى آيات التدبر والنظر.. فى الخلق، والإنشاء، والتسخير، والجعل، والإنزال، هى إعمال للفطرة (السمع والبصر والفؤاد) فى الكون والقرآن - بالمقاصد والمرامى التى تتمشى مع القصد، ومع عصرنا، بمختلف علومه وفنونه.. وإن شئت قل.. هى نظرات اسلامية علمية عقلية روحية كونية إيمانية قرآنية !!

- وفى آيات النَظَر يربط القرآن فى إحكام بديع بين السمع، والبصر، والفؤاد، والعلم - تعليماً وتعلماً - فى قول الله تعالى:

﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون﴾ (النحل١٦: ٧٨)

- والقصد من ذلك نتحسس أسرار الحياة.. وسننها وقوانينها.. ومواضعها وموضوعاتها.. وتأثيرها وتأثرها.. وأسبابها وغاياتها.. واتزانها.. وفسادها.. واختلالها.. ودمارها.. فالنظر بالعين والفؤاد فى كون الله.. فى كل شىء خلقه الله .. من سماء، ومجرات، وبروج، ونجوم، وشمس، وقمر، وليل ونهار، وظلمات ونور، وما فى الأرض جميعاً من كل شىء.. ما عليها، وما فى باطنها، وما تحت الثرى.. يأخذك كل هذا.. ومن حيث لاتشعر.. الى معبد إيمانى.. وأنت الراصد المستريح.. وكل شىء من حولك فى ديمومته الحركية التى خلقه الله من أجلها.. تسخيراً وتوظيفاً.. لخدمة الانسان.. خليفة الله فى الأرض.. حيث يقول تعالى:

﴿الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علماً﴾ (الطلاق ٦٥: ١٢)

- ومن يتأمل فى آيات النظر فى القرآن الكريم يلاحظ أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الكون المادى الملموس، وأنزل القرآن كون الله المعنوى.. وجعل من كل منهما مرآة للآخر.. تأمل قول الله تعالى:

﴿تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير﴾ (الملك٦٧:١)

﴿تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾ (الفرقان٢٥:١)

﴿تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً﴾ (الفرقان١٠)

ولا يمكن أن يتم الايمان.. وتتزن الحياة البشرية إلا بالكونين معاً.. الكون المادى والكون المعنوى..

- ونتأمل قوله تعالى: ﴿تبارك الله رب العالمين﴾ (الاعراف٧:٥٤)

- وبقدر عمق فهم النظر والتدبر فى الكون المادى الفسيح يكون التوحيد.. ويكون الايمان.. وتكون التقوى.

بهذه البساطة كانت بداية إيمان سيدنا إبراهيم يوم أن أراد الله له أن يعمل بصره وبصيرته فى كون الله فبدأ متيقناً وإنتهى اكثر يقيناً منفرداً سباقاً بالايمان فى قومه. أما المشى والسير والهجرة والرؤية والنظر بالعين والفؤاد فى آيات الله و فى كل مخلوقاته على الأرض - زيادة فى المعرفة والعلم، وترسيخ وتثبيت للإيمان.. وجاءت كل الرسالات متخذة من الحياة الكونية دليلاً وبرهاناً على الربوبية والوحدانية.

- فهل ياترى النظر والتفكر والتأمل فى خلق الكون وتسخيره وتدبيره وإدارة شئونه مُجمّع تَرَاكُمِىٌ للعلوم والمعارف.. وجَاذِبٌ للايمان؟..

- نعم هو بلا شك كذلك.. هو العلم والمعرفة.. وهوالجاذب الايمانى.. والدافع الفطرى لصدق العبودية، وتمام الطاعة، والإلتزام - بين العبد وربه.

جاء القرآن حاضاً ومثيراً لهذه الدفعية الفطرية الإيمانية بالرؤية والنظر.. بالعين والقلب.. وبالفراسة والإستشعار فى الكون الالهى - فى كل مخلوقات الله وآياته.. الحى منها والجامد.. القريب منها والبعيد.. الملموس منها والمحسوس.. الظاهر منها والباطن.. المنظور منها والمسطور.. فكانت بداية الوحى على نبينا صلوات الله وتسليمه عليه بالآية الكريمة:

﴿إقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الانسان من علق، إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم، علم الانسان مالم يعلم﴾

وهنا يربط القرآن فى احكام بديع بين الخلق الكونى المنظور.. لكل ما خلق ﴿كل شىء﴾ وبين الخلق الكونى المسطور ﴿القرآن الكريم﴾ !!

فمنظومة الخلق الكونى العام، والخلق البشرى الخاص للسمع والبصر والفؤاد، والوهب الالهى للانسان من علوم الله.. ماهى إلا توافقات زمانية ومكانية.. لإسعاد البشر.. فى كل زمان ومكان.. شريطة أن يعمل الإنسان مداركه ومجهوداته الإبتغائية فى كل دروب الكدح والعمل فى الحياة.. فى حدود منهج الله سبحانه وتعالى.. متبعاً أوامره مجتنباً نواهيه.

- والإثارة القرآنية لدراسة الكون جاءت فى قول الله تعالى:

﴿قل أنظروا ماذا فى السموات والأرض﴾ (يونس١٠:١٠١)

﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير﴾ (العنكبوت٢٩:٢٠)

﴿أو لم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء فى السموات ولا فى الارض إنه كان عليماً قديراً﴾ (فاطر٣٥:٤٤)

﴿سنريهم آياتنا فى الافاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ (فصلت٤١:٥٣)

- ويتكرر الأمر والإستفهام الالهى فى آيات النظر فى القرآن ب: ﴿أنظر﴾ .. ﴿فانظر﴾ .. ﴿أنظروا﴾ .. ﴿فانظروا﴾ .. ﴿ألم تر﴾ ؟! .. ﴿ألم ير﴾ ؟! .. ﴿ألم يروا﴾ ؟! .. ﴿أولم ير﴾ ؟! .. ﴿ألم تروا﴾ ؟! .. وهى إثارة لفحص الكون كله وتدبره ذاتياً وجماعياً.. وإثارة أكبر لدراسة خَلق البشر والابل:

﴿وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾ ؟! (الذاريات٥١: ٨)

﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾ ؟! (الطور٥٢: ٣٥)

﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾ ؟!..

- ويتكرر الاستفهام: ﴿أفلا تعقلون﴾ ؟! .. ﴿أفلا يتدبرون﴾ ؟! .. ﴿أفلا تتفكرون﴾ ؟! .. ﴿أفلا تتذكرون﴾ ؟! .. ﴿أفلا يرون﴾ ؟! .. ﴿أفلا تسمعون﴾ ؟! .. ﴿أفلا يسمعون﴾ ؟! .. ﴿أفلا تبصرون﴾ ؟! .. ﴿أفلا يبصرون﴾ ؟! .. ﴿أفلا ينظرون﴾ ؟! .. ﴿أفلم يسيروا﴾ ؟! .. ﴿أفلم يدبروا﴾ ؟! .. ﴿أفلم ينظروا﴾ ؟! .. ﴿أو لم ينظروا﴾ ؟! .. ﴿أو لم يسيروا﴾ ؟! .. ﴿أو لم يتفكروا﴾ ؟! .. ﴿أو لم يروا﴾ ؟! ..

- فالأمر والحال كذلك تكليف بالدراسة والتعمق فى ﴿كل شيء﴾ والارتفاق والانتفاع من ﴿كل شيء﴾.. فى إطار المنهج القرآنى.

- والتكليف فى حدود السعة والقدرة والإدراك.. من كافة الوجوه المادية والذهنية.. فى شتى نشاطات الحياة الاقتصادية والاجتماعية..

﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ ..

﴿لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها﴾ ..

﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ (النحل١٦:

- سألت ابنتي: ماذا عن التراث والعلم والكون والقرآن ؟!

- قلت يابنيتي! القرآن إذ يثيرنا للنظر والرؤية بمسير ورحلات.. فالاثارة والحال كذلك.. تكليف وإستنهاض لدراسات جغرافية شاملة أرضية وكونية فضائية!.. وعلم الجغرافية.. هو من العلوم التجريبية.. التي تبحث في كل مظاهر سطح الأرض الطبيعية والبشرية.. وتشعبت إلى جغرافية التضاريس.. وجغرافية البيئة.. وجغرافية الكون.. وجغرافية الأقاليم.. والجغرافية السياسية.. والجغرافية الحيوية.. والجغرافيا الفلكية.. والجغرافيا الإقتصادية.. والجغرافيا البشرية.

وجاءت مسميات التراث الجغرافي الإسلامي تحت عنوان البلدان وتقويمها، أو المسالك والممالك، أو الخرائط، أو التقاسيم.. وجاءت هذه الأسماء في كتب المسعودي (كتاب التنبيه)، والمقدسي (أحسن التقاسيم)، وابن رستة (الأعلاق النفيسة)، وابن خلدون (المقدمة)، والخوارزمي (صورة الأرض).. الكتاب الذي قال عنه نللينو.. إن مثل هذا الكتاب لاتقوى على وضعه أمة أوربية في فجر نهضتها العلمية!.. والكتاب يعالج دوائر العرض وخطوط الطول، والجبال، والبحار، والأنهار، وأسماء المدن.

- أما المرحلة الثانية لتطور الجغرافيا عن المسلمين ومن علماء هذه المرحلة ابن خرداذبة والإصطخري وابن حوقل والمقدسي وابن فضلان والمسعودي والهمداني، ثم الشريف الإدريسي وعبد الله البكري. وإتجهت البحوث الجغرافية إلى الدراسات العامة، كذلك إلى الدراسات التخصصية (صفة جزيرة العرب) للهمداني و (كتاب الهند) للبيروني. وبدأت مرحلة وضع المعاجم (معجم ما أستعجم) للبكري (معجم البلدان) لياقوت الحموي. وفي الوقت الذي كان يجوب فيه المقدسي العالم كله طولاً وعرضاً ليكتب كتابه في القرن العاشر في جغرافية الأرض وشعوبها، واضعاً المنهج العلمي للجغرافيا الحديثة.

- ونفس الكلام هو هو في علوم الرياضيات والطب والصيدلة والفلك والهندسة..

والآن إنقلب الوضع من حال إلى حال.. فالمسلمون عن العلم منصرفون.. وغيرهم على المنهج العلمي سائرون.

- والهمداني الذي ألف (صفة جزيرة العرب) وهو يمني الجنسية، أضاف إليها ثلاث كتب أخرى (الاكليل) ، (سراء الحكمة) ، (الجوهرتين العتيقتين) ولقد

رسخت كتب ومحتويات (المسالك والممالك) أو صورة الأرض لأبى القاسم محمد بن حوقل الموصلى، (كتاب الهند) للبيرونى ونزهه المشتاق فى إختراق الآفاق (للشريف الإدريسى)، و (الفوائد فى أصول علم البحر والقواعد) لشهاب الدين أحمد بن ماجد النجدى - ملك الملاحة - وهو بحق كتاب فلك وملاحة وأجهزة وهندسة شواطئ، وحتى أن فاسكورى دى جاما الرحال البرتغالى إستعان به فى رحلاته الشهيرة. وأما الرحلات التاريخية المسجلة لسيلمان السيرافى، وأبو حامد الغرناطى، وابن جبير، وابن بطوطة وغيرهم فكل ذلك أرسى ودعم الأصول البحثية لعلوم الجغرافيا.

- وأدت البيئة الصالحة للعلم فى ظل الأمن الإسلامى، وفى ظل حرص الخلفاء والأمراء على معرفة البلاد، والقيام بالعديد من الرحلات للتعرف على أحوال البلاد والعباد، وعاداتهم وتقاليدهم.. وبهذا تدفقت مشاعر الإخوة، وتآلفت القلوب، وتوثقت العروة بين النفوس، وعرف المسلمون زمامات وأحوال بلادهم من الصين إلى روسيا ودول الكومنولث إلى الشمال الأفريقى إلى الأندلس وأفريقيا على امتدادها!

- هضم الأمراء والولاة فقه الكون، وفقه الحياة، وفقه الدين، وفقه الإعمار وفقه الإيمان.. وفقه الولاية - بالمفهوم الإجتماعى والإقتصادى والبشرى.. حتى أن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قال: (لو تعثرت بغلة بأرض العراق لسئل عنها عمر! ياويل عمر!)

بهذه التراكمات كانت الحضارة الإسلامية، إعماراً، وعدلاً، وحرية، ومساواة بين الأوطان، وثقة فى الله، دنيا وآخرة.

والمُسَلم به أن الرحلة الجغرافية وعيونها المبصرة هى معمل العالم، وقلم التدوين فى صفحات العلم.. وبهذا المفهوم أسس العرب والمسلمون هذا العلم الذى يلعب الدور الهام والرئيسى فى حياة الشعوب.. وأخذوه أحد السبل للإعمار والتخطيط العمرانى والتنمية الحقيقية.

- ومن حيث أن الجغرافيا كعلم نبتت وترعرعت فى البيئة الإسلامية وعلى يد العلماء المسلمين، وهى أصل الأصول فى العلوم السياسية والإقتصادية.. ومن هنا كان لهم التقدم والسيادة.

ويثيرنا القرآن بالنظر والتفكر لما فوق الأرض وما تحت الثرى إستنهاضاً للدراسات البيولوجية للكائنات الحية.. ويثيرنا للاستنهاض بالدراسات الجيولوجية.. والحال كذلك فهى إثارة لدراسة موارد باطن الارض من الوجوه كافة!.. فديدان الأرض وحشراتها وقوارضها وحبوبها وجذور نباتاتها وممالك الحياة فى البيئة البحرية مكونات رئيسية فى علوم الأحياء!.. وهى علوم أسس لها علماء الاسلام!.. أما نحن فتغيبنا عن ساحات العلوم الحياتية وأهملنا تكليفاً شرعياً قرآنياً!.. وعلم الجيولوجيا - هو فى الحقيقة من وضع العلماء المسلمين وهم بحق مؤسسوه، وواضعو أسسه النظرية والعملية ومن أبرز علماء الإسلام فى هذا المضمار ابن سينا والرازى والكندى والهمدانى والإدريسى وياقوت الحمرى.

وإذا كان الأمر وبإختصار شديد يُعَرَّف علمياً بأن.. الجغرافيا - تعنى بعلوم سطح الأرض بشمولية المفهوم.. وأما الجيولوجيا - فتعنى بعلوم باطن الأرض ومناجمها، وخاماتها البطنية والجبلية.. وهذا يتيح الرصد والتسجيل العلمى لسطح، ولباطن الأرض - ومن كل الوجوه العلمية.. مع الأخذ فى الإعتبار تأثيرات الزمن على كل مايرصد من تغييرات طبيعية وإجتماعية وإقتصادية وسياسية..

- ومن حيث أثارَنَا القرآن بالنظر والتفكر ودراسة الأفلاك والابراج والنجوم والكواكب.. فهى إثارة للدراسات الفلكية والكونية والفضائية المجردة.. التى لاتعرف الشعوبية ولا القومية.. والحال كذلك - هى إثارة لدراسة الموارد بطريقة أعم وأشمل..

- وفى العصر الحديث فإن الرحلة العلمية الجغرافية والبيلوجية أخذت بعداً أعم وأشمل من المفهوم العادى للرحلة البرية، ونقلتنا، وإنتقلت بنا - إلى الرصد من أعلى الكرة الأرضية - بواسطة الأقمار الصناعية، وبرحلات الفضاء !!

ومن هنا تعرضنا لغزو الفضاء وعلومه.. ولتحليل برنامج وكالة ناسا للفضاء، كنموذج عصرى حديث لتوظيف وسائط العلم الحديث لخدمة علوم الجغرافيا، والجيولوجيا، والعلوم الكونية، والطبيعية!

- والقرآن الكريم يثيرنا كذلك للتعمق فى الدراسات التاريخية والدراسات الحضارية.. بإيمانها وبماديتها وبتاريخها.. بقصصها وأمثالها.. بعبرها وعظاتها.. وإذ جاء القرآن بقصص الأولين، وبسابق أحوال السابقين - فهو يثيرنا للدراسات التاريخية.. والنظرات الكونية فى الملك والممالك.. كون الله

وخلقه وملكه، وممالك المخلوقات.. الانسان، والنبات، والحيوان، والحشرات، والأسماك، والطيور، والطحالب، والفيروسات.. والمادة والسبيكة.. والخلطة واللون.. والماء والدخان.. والغذاء والكساء.. دراسة كل الاحياء، وكل الجوامد.. دراسة كل العلوم الطبيعية وكل الطاقات - طاقة الضوء والحرارة والرياح والمد والجزر - طاقات الانارة والتدفئة.. ويثيرنا كذلك لدراسة النداءات القرآنية، والقصص القرآني، والاجتماع والتغير الاجتماعي، والتداول الحضاري.. !!

إذن فنحن مكلفون بدراسة كل علوم الحياة وفقهها.. ودراسة تأثيرها وتأثرها.

- سألوا في تعجب: وكيف نؤدي كل هذه التكليفات؟!

- قلت : ياسادة خففوا عن أنفسكم.. نحن المسلمين جميعاً.. مكلفون بأن ننشئ لكل شئ مدرسة أو معهداً أو كلية أو مركز دراسات بحثية!.. تكرارية أو متفردة بحسب الزمان والمكان والإمكانات.. فالاسلام والحال كذلك دين يعالج فقه كل علوم الحياة!.. والقرآن الكريم بآياته الكونية يدفع المسلم.. وغير المسلم.. إلى النظر والفحص والاستقراء وهذا هو العلم التجريبي.. الذي يُعمِلُ ويُوظِفُ العقل والقلب في آن واحد طريقاً لليقين والايمان والخشية والخضوع لصاحب الملك والملكوت!.. والآيات الكونية القرآنية.. على وجه الخصوص.. تدفع للعمل والكسب والابتغاء.. وتدفع للعلم والبحث دفعاً.. فلا إيمان بغير عمل وإتقان، ولا خشية بلا علم وتفقه.. وتأمل قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَخشَى اللهَ من عباده العلماءُ﴾.

ناهينا أن الآيات القرآنيَة هي المرجعية المطلقة للعلم، وتأمل قول الله تعالى:

﴿وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها﴾ (الزخرف٤٣: ٤٨).

والآيات الكونية جاذب أعظم للايمان.. وملتقى أكبر للفكر والعلم والتقدم والتحضر.. والآيات الكونية هي المنجم الإتفاقي بين البشر!

والآيات الكونية في القرآن تثيرنا لتنظيم الوقت!..

ورأس رأس المال الوقت!..

فالليل للنوم والراحة.. ووقت السَحَر لقِرَاءَة القرآن.. ووقت البكور للكد والكدح والإبتغاء.. ووقت الظهر للمقيل والراحة.. ووقت العصر لمعاودة الابتغاء والسعي.. والصلوات الخمس لميقاتها.. فالصلاة بميقات.. والمؤتمر الأسبوعي يوم الجمعة.. وبانفضاض مؤتمر الجمعة - حث على الإنتشار،

والابتغاء، والكد، والكدح.. برمجة للوقت، وحث على الأخذ بالإرادة الجادة للحياة الكريمة.. وفى ذلك قضاءً على القَلَق، والاضطرابات الذاتية والجماعية!.. وتنظيم الوقت والإنهماك فى العمل هو الطريق الوحيد للسعادة وراحة البال والقضاء على القلق والاضطراب.. وبخاصة بين شباب الأمة الاسلامية!

إختلافاتنا سطحية فى شكلية فقه العبادات والمعاملات!.. أما فقه الحياة.. فنحن عنه غَائبُون.. مُغَيَبُون.. مُعرضُون.. لاَهُون؟!.. ولا شك أن فى خلق الكون التحدى.. وفى تسخيره القبول.. وفى تدبيره الرحمة.. وللانسان الخلافة فى الأرض.. وللبشر شطط.. وفى القرآن النهى.. فى التقوى بركة وعلم.. والله يهب العلم من يشاء، ويؤتى الحِكمَةَ من يشاء من عباده، ﴿ومن يؤتى الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً﴾

فى الايمان سكينة وراحة.. وبالايمان والتقوى - ييسر الله الرزق، والكسب، والعلم، والرضا، والاطمئنان.

فالاثارة للتعمق فى الدراسات الكونية ثلاثية البعد: عبادة.. وعلم.. وعمل!

ويتناول هذا الكتاب.. فى محاولة متواضعة.. نظرات فى الآيات القرآنية الكونية وفى فقه الحياة.. وهى آيات لاخلاف عليها فى الجوهر بين المسلم وغير المسلم.

- سألت زوجتى: وأين الدفعية إذن من هذا الإتفاق؟!..

- أجبت: الإتفاق هنا إتفاق جوهر.. بإطلاقات جوهر الاشياء، وجوهر الرسالات السماوية، وجوهر الإيمان!.. والناس بالطبع ليسوا كذلك!.. والدفعية سنة سماوية مؤكدة يعلمها رب الانفس وخالقها..

﴿لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾

وأحسب أن كتابنا هذا.. فى جملته.. يمثل مائدة علمية إتفاقية إيمانية - للشباب المسلم والشباب غير المسلم.. هم فى مسيس الحاجة اليها اليوم قبل الغد.. حتى نضيق من هوة الاختلاف، والجدل، والفرقة، والتعصب الأعمى!

والآيات الكونية.. فى الاجمال الجمادى والإجتماعى والسياسى.. وردت قرينة الخلق، والتسخير، والجعل والارسال، والانزال، والإصلاح، والإفساد.. وهى أمور لا خلاف عليها.. وهذا معناه أننا مكلفون بالارتفاق والانتفاع المتكامل - بكل ما خلق، وسخّر، وجعل، وأرسل، وأنزل، نصلح ولا نفسد.

والحال كذلك فالآيات الكونية تَحوِى موضوعات علمية مادية وإجتماعية ملموسة

لكل ذى بصر وبصيرة، وتَدفَع إلى البحث والجد والاجتهاد والتقدم والرقى.. إستنهاضاً لذواتنا، ولشعوبنا العربية، والاسلامية - فى جميع الموضوعات الحياتية.. علوم ﴿كل شئ﴾.. والتى هى أساس كل تقدم عصرى ومادى.

وعلى رأس هذه العلوم (الشيئية) الجغرافيا بشموليتها، وعلوم الجيولوجيا، والطبيعة، والرياضة، والكيمياء، والطب، والفلك، والصيدلة، وعلوم الزراعة، والصناعة، وعلوم الفضاء.. وكل مايتبع ذلك من علوم، وفنون، وحرف، وصناعات.. وأيضاً علوم التاريخ، والسيَر، والقصص القرانى، والحِكَم الاجتماعية الخالدة لسابق الأمم والشعوب، بمنظور قرآنى.

والسبيل الوحيد للاستنهاض الحضارى العربى والاسلامى أن نعنى بهذه الموضوعات العقلية الكونية فى جميع مؤسساتنا: جامعة الدول العربية، وفى منظمة الشعوب الإسلامية، وفى مدارسنا، ومعاهدنا، وجامعاتنا، ومؤسساتنا البحثية المتخصصة.. قراءةً ودراسةً عميقةً ومتكاملة - لكل ما أورده كتابنا المقدس.. القرآن الكريم.. الذى لاتنتهى عجائبه.. وحتى قيام الساعة.

﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك انه على كل شئ شهيد﴾ (فصلت: ٥٣)

وحرام أن نتفرق شيعاً وأحزاباً.. مهدرين الطاقات، والجهود، والموارد - فيما لاعائد من ورائه.

- سأل ولدى متعجباً: هذه الأجندة لابد وأن تكون كبيرة جداً ؟!

- قلت: يا ولدى ! هذا صحيح!.. لذلك جاء كتابنا - الأجندة - فى جزئين:

الجزء الأول.. الكون فى آيات القرآن.

الجزء الثانى.. الانسان فى آيات القرآن.

وإستغرق العمل فيهما قرابة الست سنوات.. إستعنت فيه بصفة الأساس بكل ماصدر، ووقع تحت يدى عن الاعجاز البيانى والعلمى والطبى فى القرآن الكريم.. وإستعنت كذلك بالعمل الرائع الذى أنجزته الشركة العالمية للكمبيوتر صخر فى مباحث القرآن والسُنّة.. واستعت بالعمل الجاد الذى سجلته وطورته شركة سلسبيل.. فى خصوصية مباحث القرآن الكريم.. والحمد لله كان للمنهج البحثى الموضوعى النتائج المتواضعة التى أضعها بين يدى القارئ الكريم.. فى شبه تصنيف موضوعى كونى متكامل للآيات الكونية.. ولايكتب أبداً لهذا التصنيف الموضوعى الإستقلال عن التصنيف والتحليل الموضعى.. الذى يذخر به تراثنا

الإسلامى فى كتب التفاسير.. والتصنيفين الموضعى والموضوعى يكملان بعضهما البعض ..

ويقع الجزء الأول.. نظرات كونية فى آيات القرآن.. فى أربعة أبواب:

الباب الاول:	الكون والتوحيد فى آيات القرآن. الإنشاء والتسخير والتدبير.
الباب الثانى:	المنظومة السماوية والحياة فى القرآن.
الباب الثالث:	المنظومة الأرضية والحياة فى القرآن.
الباب الرابع:	غزو الفضاء فى القرآن.

- سألت ابنتى: هل يمكن أن تعطينا فكرة مبسطة عن هذ الأبواب ؟!

- أجبت: بنعم!.. واستطردت قائلاً:..

الباب الأول.. الكون فى آيات القرآن.. يقع فى فصلين:

و يقدم الباب لمفهوم الكون.. من حيث هو كل ماخلق الله من شئ.. جماد، ونبات، وحيوان، وإنسان، وسموات، وأرض، وما بينهما، وما فيهما، ومن فيهما .. والقرآن إمام فى الكونيات.. بحسب أنه كتاب علم، وخبرة، وحكمة - منزل من الله سبحانه على قلب رسوله الكريم - الذى مانطق إلا بما أوحى إليه به !! والحال كذلك فالقرآن والسنة هما المرجعية المطلقة.. أما العلم البشرى.. المبنى على فرضيات تخمينية.. فلا يكتسب حجية إلا بما يتفق ومرجعيات القرآن والسنة..

﴿قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والأرض﴾ (إبراهيم١٤:١٠) ..

﴿سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾ (البقرة٢:٣٢) ..

ورحم الله الإمام مالك حيث قال: (لا أعلم شيئاً يُحتَاجُ إليه إلا وهو فى الكتاب والسنة)!.. ومفاد القول.. هو تسخير الحكمة الكونية والحكمة القرآنية لفقه الحياة المتجددة المتكاملة جمادياً وإجتماعياً.

ويقول تعالى: ﴿مافرطنا فى الكتاب من شئ﴾ وقوله الحق ..

ونعرض لما جاء فى وصف القرآن فى القرآن، وكذا لما جاء حول السنة النبوية فى القرآن.. كما نعرض لخلق الله للكون، ومافيه، ومن فيه.. وأخيراً نعرج سريعاً على تهيئة الكون للحياة فى القرآن.. ونقرن ذلك بعرض للإشارات القرآنية فى إعجاز الخلق والتسخير والتدبير الكونى.. ونعرض للماء، والروح والحياة الكونية.. ونتناول دراسة معرفية للزمان، والنسبية فى القرآن.

ولما كانت حياة الذرة تشابه حياة المجرة - أصبح لزاماً علينا دراسة الكون

فى منظومات كلية جامعة.. تؤثر وتتأثر مكوناتها بعضها ببعض.

ونقصر المنظومات الكلية الجامعة بقدر الإدراك على منظومتين أرضية وسماوية.. بمنظور إسلامى.. بإشارات كونية، من القرآن الكريم.

ويشتمل أول باب على فصلين: الأول يورد تعاريف ومفاهيم وردت فى آيات القرآن عن: الكون، والقرآن، والسنة، والخلق الكونى العام، والوحدانية.. والفصل الثانى يعرض لآيات القرآن المتضمنة الإنشاء والخلق والتسخير والتدبير فى الكون.. ومن مشتملاتهما:

الفصل الأول: الكون والتوحيد.. ومن مشتملات هذا الباب:

١. الكون.	٢. علم الكون والقرآن.
٣. القرآن كتاب علم وخبرة وحكمة.	٤. علم الله فى القرآن.
٥. سنة رسول الله ﷺ هداية.	٦. من خلق السموات والأرض.
٧. من خالق الإنسان وهاديه ورازقه.	٨. لا إله إلا هو.

والفصل الثانى: الإنشاء والتسخير والتدبير الكونى فى آيات القرآن فنستهله بالسُؤل القرآنى:

﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء، بناها، رفع سمكها فسواها، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها، والأرض بعد ذلك دحاها، أخرج منها ماءها ومرعاها، والجبال أرساها، متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ (النازعات٧٩: ٢٧-٣٣)

﴿أفرأيتم النار التى تورون، أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون﴾ (الواقعة٥٦: ٧١،٧٢).

﴿أفرأيتم الماء الذى تشربون، أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون﴾ (الواقعة٥٦: ٦٨،٦٩).

﴿أفرأيتم ما تحرثون، أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾ (الواقعة٥٦: ٦٤)

﴿أفرأيتم ما تمنون، أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾ (الواقعة٥٦: ٥٨،٥٩)

بهذا كان السُؤل القرآنى حول خلق السماء وسنن الخلق فيها ؟! وحول نشأة المجموعة الشمسية وسننها الكونية وطاقاتها المتجددة ؟! وحول إنزال الماء.. وتتابع دورات الماء العذب فى الكون ؟! وحول الزراعة.. أساس الأساس فى الحياة كلها؟! وحول الخلق البشرى؟!.. وفى الاجمال حول كل الخلق (كل شىء) ؟!

وبداية نحن نشهد أن الله هو الخالق ﴿خالق كل شىء﴾، المنشئ للأكوان، المنزل للماء من السحاب، وهو الزارع أصلاً.. ونحن الحارثون الزارعون مجازاً.. وهو الخلاق العظيم!..

وبداية نقول أن كل ما أنشأ، وخلق، وسخر، وأنزل، وزرع، وأبدع.. على الهيئة التى نراها وندركها.. فهو كونى فى الاجمال وفى التخصيص.

وجاء السؤال القرآنى الخاص بخلق الأرض فى قوله تعالى: ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين﴾ (فصلت٤١: ٩)

ونشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له، وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم.. حقاً وصدقاً.

وإنشاء الكون أو خلقه معناه إبداع خلقه من لاشىء ﴿بديع السموات والأرض﴾.. ومن هذه البداية الإبداعية للخلاق العزيز العظيم.. تجلى خلق الماء، وخلق السموات والأرض، ومابينهما، وما فيهما، ومن فيهما.. فهو الأول، وهو الآخر.. وما كان الخلق إلا بالحق ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ .. والله ﴿خالق كل شىء﴾ خالق الزمان حيث لم يكن.. ﴿وهو الذى خلق الليل والنهار﴾ .. وخلق الكون فى ستة أيام، ثم إستوى إلى السماء، وإستوى على العرش.. يدبر الأمر فى الكون..!! ﴿ألا له الخلق والأمر﴾.. ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾.

والله سبحانه وتعالى سخر الكون.. سخر كل المخلوقات.. كل مافى السموات، وما فى الأرض، وما بينهما، ومن فيهما.. لإسعاد الإنسان - خليفة الله فى الأرض!.. ﴿خلق لكم مافى الأرض جميعاً﴾ و ﴿سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض﴾ و ﴿وما بينهما﴾ !!

وقد يشغل بال الانسان.. بوجه عام.. مسائل خلق الكون.. فيما يخص خلق السموات، والأرض، وما بينهما، وخلقهما بالحق، وزمن الخلق!..

من هنا نحن مطالبون بدراسة الكون والتعرف على قوانينه، وقوانين الحياة فيه، وسننه، وسنن إستقرار الحياة، ومطالبون أيضاً بدراسة أسباب الفساد فى الأرض.. وما يتبعه من إختلال ودمار!..

ويشغل بال غير المسلم فيما يخضعه للرصد والمشاهدة الأمر الإلهى ﴿كن فيكون﴾ وأسرار الخلق والخليقة!..

والتسخير الكونى فى شتى المظاهر الكونية يعنى أننا مكلفون بالارتفاق والانتفاع بكل ماخلق الله وسخر!.. ومن هنا فقد كان للزمن، ولعناصر الكون، وللسبح والحركة، وللسكون والنسبية مكان بارز فى آيات القرآن.. وهذا مانعرض له فيما بعد.. تحت مسمى.. النسبية فى القرآن!!

والحال كذلك فالمنظومة الكونية.. خلق، وتسخير، وتكليف بالارتفاق والانتفاع بمكوناتها.. حيث أوجدها سبحانه وتعالى بكمال وتمام إبداعه.. ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾.

ونعرض لبدء الخلق العام.. السموات والارض، والماء والحياة، والخلق بالحق، وزمن خلق السموات والأرض. ونعرض للتسخير، والتكليف بالارتفاق، والتدبير الكونى الشامل وهو ما يعرف قرآنياً بتدبير الكون ﴿يدبر الامر﴾.. ﴿ألا له الخلق والأمر﴾؟! ومن مشتملات هذا الفصل:

٠١ الانشاء الكونى فى آيات القرآن.	٠٢ السموات والأرض فى القرآن.
٠٣ بداية خلق الكون.	٠٤ ﴿وهى دخان﴾.
٠٥ ﴿إئتيا طوعاً أو كرهاً﴾.	٠٦ تزيين السماء الدنيا.
٠٧ السماء متعددة فى الخلق.	٠٨ الرتق والفتق فى القرآن.
٠٩ السماء مرفوعة بعمد لانراها.	٠١٠ الإستواء على العرش.
٠١١ وكان العرش على الماء فى القرآن.	٠١٢ بدء الحياة الكونية فى القرآن
٠١٣ اعجاز خَلق الانسان.	٠١٤ فى الفضاء حياة.
٠١٥ الافلات من مجال الأرض.	٠١٦ خلق الكون بالحق فى القرآن.
٠١٧ زمن الخلق الكونى فى القرآن.	٠١٨ إبداع الخلق الكونى.
٠١٩ ﴿يقول كن فيكون﴾	٠٢٠ ﴿يقول له كن فيكون﴾
٠٢١ اليوم والألف سنة فى القرآن.	٠٢٢ التسخير الكونى فى القرآن.
٠٢٣ التدبير الكونى فى القرآن.	٠٢٤ من مظاهر التدبير الكونى.
٠٢٥ هو الله.	٠٢٦ من واحة الايمان.

- ولخصنا مضمون هذه الدلالات الكلية على أنها هى الأدلة المادية على وجود الله ووحدانيته!.. وأضفت للقوم أن الكون أنشىء من عدم وإلى الأجل المحدد.. وان نظرية النشوء والإرتقاء ولدت ميتة فى المفاهيم الإسلامية الصحيحة.. وسبحان الله فإن الغرب الذى طَنَنَ لها.. عاد وكَفَنَهَا وأبْنَهَا بِشَرِ النوَاح.. ولاشك أن إشارات القرآن تدل بواضح الدلالة الحقة على أحدث مافى الكون من علوم فضائية وطبيعية ونسبية.. وكما التسخير إنتظام وإستمرار واضطراد فإن التدبير ملك وملكوت يتفرد بهما المولى سبحانه وتعالى لاشريك له.

- سأل ولدى: وماذا عن الباب الثانى فى الأجندة ؟!

- قلت: يا ولدى ! الباب الثانى.. المنظومة السماوية فى القرآن:

والمنظومة السماوية فى الأصل هى عبارة عن السموات، والمجرات، والبروج، والنجوم، والكواكب، وما بينهما.. من شهب ونيازك.

ونعرض للمنظومة السماوية من حيث التسخير والتكليف بالارتفاق.. بدلالة الزمن .. ﴿وكل فى فلك يسبحون﴾، وللأجل الإلهى المقدر.. ﴿كل يجرى إلى أجل مسمى﴾.. ونعرض للمنظومة السماوية من ناحية الانزال والتنزيل: (الماء، الارواح، الارزاق، البينات، الحديد، الرسالات والكتب، الملائكة والروح القدس).وترتبط المنظومة السماوية بخلق الزمان.. فالزمان خلق من عدم ﴿خلق الليل والنهار﴾، وللأجل المحتوم ﴿لكل أجل كتاب﴾، ومدد الزمان فترات وآناء، ونهايته آجال.. لذلك أصبح لزاماً علينا أن نعرض للزمان فى آيات القرآن.

ولما كانت الدلالات الكونية على الزمان نحددها بضوء الشمس والقمر والنجوم.. فنعرض لهذا كله إن شاء الله ضمن مانعرض.

وخلق الله الزمان يوم خلق السموات والأرض والشمس والقمر.. ﴿وهو الذى خلق الليل والنهار وسخر الشمس والقمر كل فى فلك يسبحون﴾ (الأنبياء٢١:٣٣)

ولكل هذا كانت لعناصر الكون سرعاتها الذاتية والنسبية.. فلكل شىء فى الكون مكانه، وزمانه، وسرعته الذاتية، وسرعته النسبية - كأثر لزمانه، ولمكانه ولحركته، ولتجاذبه ﴿وكل فى فلك يسبحون﴾ !! وهذا جوهر النسبية ببساطة شديدة!.. فالحركة، والمكان، والزمان من خصائص كل شىء من مخلوقات الله، والشىء الساكن له مكانه وزمانه، أما سرعته فمعدومة.. وللنظرية النسبية مكان بارز فى الآيات القرآنية، وذلك بحسب أنها تعالج وحدة الزمان - المكان، وتعالج وحدة الزمان - المكان - الكتلة - الطاقة. وكلها فى الأساس يعتمد على السرعة، والتى هى زمان ومكان.. والنسبية فى القرآن وردت فى العديد من النصوص، أقربها: ﴿إن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ !! (الحج٢٢: ٤٧).

وجوهر السرعات الكونية سرعة الضوء.. والضوء هو القاسم المشترك الأعظم للمنظومة السماوية للنجوم والكواكب والأقمار !!.. وبالذات لنجوم البروج والشمس والقمر وجميعها تلعب دوراً حياتياً هاماً لمن على ظهر الأرض !!

وتلخيصاً اذا كانت الروح من السماويات. والماء منزل من السماء، وخلقه سابق لخلق السموات والأرض.. ﴿وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء﴾.. فنعرض للروح والماء والانزال والتنزيل..(الارزاق، الكتب السماوية، الحديد) ضمن المنظومة السماوية ..

وفى الإجمال نعرض للمنظومة السماوية المادية فى القرآن لكل الكونيات التى

تعلو الأرض.. نعرض للسموات، والمجرات، والنجوم، والشمس، والقمر.. ونعرض للزمان، وللنسبية فى القرآن.. نعرض آيات القرآن الكونية فيما يخص خلق الكون المادى وتسخيره!.. كما نعرض لخلق وحياة الانسان فى آيات القرآن بحسب أن خلق آدم عليه السلام سماوى.. عرضنا لهذا كله فى ستة فصول:

الفصل الأول: السموات والأرض والحياة .
الفصل الثانى: الزمان فى القرآن.
الفصل الثالث: المجموعة الشمسية فى القرآن.
الفصل الرابع: النظرية النسبية فى القرآن.
الفصل الخامس: النجوم والبروج فى القرآن.
الفصل السادس: المنظومة السماوية فى التاريخ الاسلامى وفى العلم.

والباب الثانى - الفصل الأول: السموات والأرض والحياة الكونية.. يشمل:

١. السموات والأرض والحياة الكونية. ٢. السموات والأرض السبب والغاية.
٣. عظمة الخلق دليل الوحدانية. ٤. السماء والحياة الكونية.
٥. السماء وبروجها وشمسها وقمرها. ٦. الإنزال والتنزيل.
٧. الروح والحياة الكونية. ٨. الحياة التامة والكون.
٩. الولاية لله. ١٠. الماء والحياة الكونية.
١١. ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾

الباب الثانى - الفصل الثانى: الزمان فى القرآن.. ومشتملاته:

١. الزمان. ٢. خلق الزمان فى القرآن.
٣. وظيفة الزمان فى القرآن. ٤. القبلية والبعدية فى القرآن.
٥. الآن فى القرآن. ٦. زمان الكائنات فى القرآن
٧. الأجل نهاية زمن. ٨. التوقيت الهجرى والميلادى

والباب الثانى الفصل الثالث: المجموعة الشمسية فى القرآن.. ومشتملاته:

١. زمان خلق الشمس والقمر. ٢. آية تسخير الشمس والقمر.
٣. حركة الشمس. ٤. وظيفة الشمس الكونية.
٥. الشمس والآذان للصلاة. ٦. الخلايا الضوئية والسخانات
٧. طاقات الشمس. ٨. الشمس والعلم الحديث.
٩. القمر فى القرآن. ١٠. وظيفة القمر الكونية.
١١. المد والجذر. ١٢. المجموعة الشمسية.

الباب الثانى الفصل الرابع: النظرية النسبية فى القرآن.. ومن مشتملاته:

٠١ نسبية أينشتين.	٠٢ النظرية النسبية فى القرآن
٠٣ سرعة دوران القمر حول الأرض.	٠٤ سرعة الضوء فى القرآن
٠٥ أصحاب الفيل ونسبية أينشتين.	٠٦ الرجفة والصيحة والنسبية
٠٧ سرعة عروج الملائكة فى القرآن.	

الباب الثانى الفصل الخامس: النجوم والبروج فى القرآن.. ومشتملاته:

٠١ النجوم والبروج فى القرآن.	٠٢ النجوم التسخير والوظيفة.
٠٣ النجوم والسجود والعبادة.	٠٤ النجوم والقسم القرآنى.
٠٥ أفلاك النجوم فى القرآن.	٠٦ عبادة الكواكب والنجوم.
٠٧ الشهب والنيازك والكسف.	٠٨ البروج فى القرآن.

والباب الثانى الفصل السادس: المنظومة السماوية فى التاريخ الإسلامى (علم الفلك الإسلامى).

وعلى كل حال فمعلومات البشر عن المنظومة السماوية تكاد تكون معدومة !!.. أو بالأصح فقيرة جداً جداً!.. وإن هُيِّئ للبعض غير ذلك!.. لكنها النسبية بين المعارف والعلوم والأزمان والبلاد والعباد!..

- سأل ولدى الاكبر: هلا ننتقل إلى حيث معارف البشر فى منظومة الأرض؟!

- قلت : يا ولدى! أنت واهم يا ولدى! وكثيرون مثلك.. يتصورون أن البشرية قطعت شوطاً كبيراً فى علوم الأرض والحياة!.. لكن تأكدوا ياقوم! أن العلم يقفز العلم قفزات سريعة.. لكنه ليس مُتَشبعاً بالمعارف!.. أو حتى مُرضِياً!.. فالبشرية بين الآنة والاخرى ترتبك أمام أبسط ظواهر الكون الارضية!.. وعلى كل حال فالبشرية حققت بعض التقدم الجزئى فى بعض المعارف لمنظومتنا الأرضية!!

ونستهل الباب الثالث: المنظومة الأرضية والحياة فى القرآن - بقول الله تعالى: ﴿والأرض فرشناها فنعم الماهدون﴾ (الذاريات٥١: ٤٨).. وقوله تعالى: ﴿فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ (الاعراف ٧: ٢٥)

وفرشناها: أى جعلناها ممهدة مذللة حتى يستطيع الانسان العيش فيها.. منتفعاً بكل خيراتها ﴿هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعاً﴾.. وفى الارض المعاش.. وفيها الممات.. ومنها البعث ان شاء الله.. ﴿فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ (الاعراف٧: ٢٥).

والأرض بيضاوية، زيتونية الشكل، معلقة فى الفضاء الكونى ومتوسط

قطرها٧٤٠ر١٢ كيلو متر، ومتوسط محيطها ٤٠ر٠٤٢ كيلو متر، ومساحة سطحها٥١٠ مليون كيلو متر مربع، وحجمها أكثر من مليون مليون كيلو متر مكعب، وكتلتها بما يعادل٦٦٠٠ مليون مليون طن.

ويغطى سطح الأرض ٧١٪ بحار ومحيطات، بسمك متوسط ٤ كيلو متر تقريبا. ويحيط بها غلاف جوى يصل سمكه لقرابة الألف كيلو متراً. وإن كان لايكاد يحس به وبضغطه فوق إرتفاع٤٠ كيلو متر من سطح الأرض !!

والحياة على الأرض يقصد بها الحياة على اليابس ٢٩٪، وفى البحار والمحيطات ٧١٪، وتحت سطحهما، وبتأثيرات هوائهما وشمسهما. وتنظم وتنتظم هذه الحياة الأرضية فى صور نباتية، وحيوانية، وبشرية. والحياة النباتية يندرج فيها حوالى ٤١ مليون نوع من أنواع الحياة النباتية، وأما الحياة الحيوانية فيندرج فيها نحو مليون فرع !!

والله وهب الأرض فى ذاتها حياة كونية خاصة. فالأرض فى حركة دائمة دائبة، والمجرات، والنجوم، والكواكب، والشمس، والقمر، والضوء، والرياح، والمواد فى مختلف أشكالها الصلبة والسائلة والغازية - فى حركة نسبية دائمة دائبة لاتتوقف فى كون الله الفسيح !!

وقد تتساوى يابسة الأرض وبحارها فى أن بكليهما مساحة صحراوية، أو شبه صحراوية، من حيث مقدار الحياة البيولوجية. فإذا كان تساقط الماء على اليابسة٤٠ سم أو أقل من التساقط السنوى فإن النباتات تكون مبعثرة وخشنة. فى حين إذا كانت الأمطار غزيرة فتغزر النباتات. وقد يتحدد غياب الحياة البيولوجية ليس فقط لندرة الماء، ولكن أيضا بندرة عنصر الفوسفور. و التصحر فى البحار والمحيطات مرده إلى غيبة الكربون، والنتروجين، والنترات - وهذا يعوق التكاثر. وهناك العديد من الميكروبات المائية، وأهمها الطحالب الخضراء المزرقة، والتى بها مجموعة من الأنزيمات، قادرة على الإتحاد بالنتروجين المذاب فى الماء، والمأخوذ من الهواء، مع عناصر أخرى - لتكوين مركبات بيولوجية صالحة للاستخدام. وإذا كان الفوسفور متوافرا فى الطبقات العليا من البحار، فإنه يبدو بعيد الإحتمال، وإن الأزوت المثبت، والخضراء المزرقة، وغيرها من الكائنات تعجز عن غزو هذه البيئة.

وفى الإجمال فإن مادة الحياة على يابس الأرض أكثر وزناً نوعياً، وتكثيفاً نسبياً عنها فى البحار، والمحيطات - فى الوقت الراهن - لأن البشر لم يتدخلوا بمجهودات منظمة لزراعة المياة المالحة !!

ونعرض لأمر التهيئة الكونية للحياة فى الأرض يابساً، وبحراً.. ونبدأ بحياة الأرض تسخيراً، وتدبيراً من المولى سبحانه لإحيائها بالنباتات، وبالدواب، وبالطيور، وبشتى مظاهر الحياة لخدمة بنى البشر.. فمن الأرض كانت النشأة.. وهى المستقر.. والأرض تحيا وتموت.. وأرض الله واسعة.. ﴿وفى الأرض آياتٌ للموقنين﴾. وقد حظيت نشاطات الانسان فى الارض بنصيب وافر من آيات القرآن بين زرع، وحرث، وري، وحصاد، وتخزين، واستقرار، وهجرة، ونقل، وانتقال، وإعمار، وحضارات حولَ الانهار وعندَ مصباتها، وإرتفاق الانسان للبحار من نقلٍ، وإنتقالٍ، وصيدٍ، وتعدين، واستغلالٍ لطاقات المدّ والجزر، وطاقات الرياح على السواحل!

ومن حيثُ أن الكربون هو القاسم المشترك الأعظم للغذاء والكساء.. فنعرض للكربون فى الكون والقرآن!

ونعرض للجبال فى القرآن، والغلاف الجوى، والرياح فى القرآن، والسحاب فى القرآن، والزلازل والبراكين فى القرآن!

كما نعرض لعلوم المنظومة الأرضية فى التراث الاسلامى، وللفساد فى الأرض والبيئة من وحى لطائف الإشارات فى آيات القرآن الكريم!

ويشمل الباب الثالث على عشرة فصول:

الفصل الأول:	الأرض والحياة فى القرآن.
الفصل الثانى:	البحار والحياة فى القرآن.
الفصل الثالث:	الكربون فى الكون والقرآن.
الفصل الرابع :	الجبال فى القرآن.
الفصل الخامس:	الغلاف الجوى.
الفصل السادس:	الرياح فى القرآن.
الفصل السابع:	السحاب فى القرآن.
الفصل الثامن:	الزلازل والبراكين فى القرآن.
الفصل التاسع:	المنظومة الأرضية فى التراث.
الفصل العاشر:	الفساد فى الأرض.

الباب الثالث ـ الفصل الأول: الأرض والحياة فى القرآن.. ومشتملاته:

٠١ الحياة فى الأرض.	٠٢ النشأة من الأرض.
٠٣ خلق لكم مافى الأرض جميعاً.	٠٤ أرض الله واسعة.
٠٥ إحياء الأرض.	٠٦ فى الأرض آيات.

٠٧ خلق الزرع٠
٠٨ خلق الحدائق٠
٠٩ استخلاف الانسان فى الأرض٠
٠١٠ الانسان والزراعة٠
٠١١ خلق الانعام٠
٠١٢ الانسان يهيىء الأرض للحياة
٠١٣ استصلاح الأراضى فى القرآن٠
٠١٤ الاستصلاح والاستزراع٠
٠١٥ بدء عصر الماء٠
٠١٦ تسوية الأرض ومد الطرق٠
٠١٧ الأرض الجديدة والتهجير٠
٠١٨ الهجرة أجدى وأنفع٠
٠١٩ الرزق اللدنى٠
٠٢٠ استزراع الأرض٠
٠٢١ الاستزراع فى القرآن٠
٠٢٢ زراعة الأرض فى القرآن٠
٠٢٣ حرث الأرض فى القرآن٠
٠٢٤ الرى فى القرآن٠
٠٢٥ الحصاد فى القرآن٠
٠٢٦ التخزين فى القرآن٠
٠٢٧ الانعام والطاقات الحيوانية٠
٠٢٨ التخطيط العمرانى فى القرآن
٠٢٩ حضارات الأنهار فى القرآن٠

والباب الثالث ـ الفصل الثانى: البحار والحياة فى القرآن٠٠ ومشتملاته:

٠١ البحار والحياة٠
٠٢ البحار آية كونية٠
٠٣ تنجيم البحار٠
٠٤ كيف تكونت البحار٠
٠٥ الملاحة البحرية فى القرآن٠
٠٦ ثروات الخلجان٠
٠٧ حركة من الشرق الى الغرب٠
٠٨ انتاج الطعام البشرى بتنمية الخلية الواحدة٠
٠٩ المستقبل وغذاء البحر٠
٠١٠ البحار فى القرآن٠
٠١١ مروج البحرين٠
٠١٢ البحر المرتوق٠
٠١٣ البحر مشارك أصيل فى حياة الأرض
٠١٤ طاقات البحار والمحيطات والخلجان٠
٠١٥ الكربون والبيئة البحرية٠
٠١٦ البحر والجو آلة حرارية٠
٠١٧ المنشآت البحرية٠
٠١٨ الكيمياء البحرية للكربون والحرائق٠
٠١٩ مولد ثانى أكسيد الكربون٠
٠٢٠ دعوة مفتوحة٠

والباب الثالث ـ الفصل الثالث: الكربون فى الكون والقرآن٠٠ ومشتملاته:

٠١ الكربون فى الكون٠
٠٢ الكربون فى القرآن٠

٠٣ الطعام والكربون فى القرآن٠
٠٤ المراعى فى القرآن٠
٠٥ الحبوب فى القرآن٠
٠٦ الخضروات٠
٠٧ الخضروات فى القرآن٠
٠٨ الفاكهة فى القرآن٠
٠٩ التنفس والماء والغذاء(الكربون)٠
١٠٠ الكربون والكساء فى القرآن

والباب الثالث ـ الفصل الرابع: الجبال فى القرآن٠٠ ويشمل:
٠١ تكوين الجبال٠
٠٢ الجبال فى القرآن٠
٠٣ خلق وتسخير الجبال٠
٠٤ ﴿الجبال أوتاداً﴾:
٠٥ وبينهما برزخ لايبغيان٠
٠٦ وأخرجت الأرض أثقالها٠
٠٧ الجبال والحياة٠
٠٨ الجبال ويوم القيامة٠

٠٩ الجبال والتسبيح والخشية والخشوع
١٠٠ الجبال والمنظومة الحياتية المشاركة معها٠
١١٠ الجبال واتزان الأرض٠
١٢٠ الجبال والماء والغذاء٠
١٣٠ الجبال والانشاءات المدنية٠
١٤٠ الجبال والنحل والعسل٠
١٥٠ الجبال والثمر والناس والدواب والانعام والالوان٠

والباب الثالث الفصل الخامس: الغلاف الجوى٠

والباب الثالث ـ الفصل السادس : الرياح فى القرآن٠٠ ويشمل:
٠١ الرياح٠
٠٢ الرياح فى القرآن٠
٠٣ الريح فى القرآن٠
٠٤ تأثيرات قوى الريح٠
٠٥ الرياح والعلم الحديث٠

والباب الثالث ـ الفصل السابع: السحاب فى القرآن٠٠ ومن مشتملاته:
٠١ السحاب فى القرآن٠
٠٢ نشأة السحاب فى القرآن٠
٠٣ أنواع السحاب٠
٠٤ إنزال الماء٠
٠٥ السحاب والعلم الحديث٠
٠٦ الرعد والبرق٠
٠٧ الرعد والبرق فى القرآن٠
٠٨ السحاب والظل٠

٠٩ السحاب يختزل الالوان٠ ١٠٠ الجو يدفأ عند سقوط الجليد
١١٠ البرق يفقد البصر٠ ١٢٠ الرعد يفقد السمع٠
١٣٠ صواعق البرق والرعد٠

والباب الثالث ـ الفصل الثامن: الزلازل والبراكين فى القرآن٠٠ ويشمل:
١٠ الزلازل والبراكين٠ ٢٠ الزلازل فى القرآن٠
٣٠ الزلازل فى التراث الاسلامى٠ ٤٠ الزلازل والعلم الحديث٠
٥٠ الأرض وزلزالها وأثقالها٠ ٦٠ الآثار الاقتصادية والاجتماعية
٧٠ رصد الزلازل والبراكين٠ للزلازل والبراكين
٨٠ الظواهر الغريبة لكوكب الأرض٠ ٩٠ الزلازل فى مصر

والباب الثالث ـ الفصل التاسع: علوم المنظومة الأرضية (الجغرافيا والجيولوجيا) فى التراث الإسلامى٠

والباب الثالث ـ الفصل العاشر: الفساد فى الأرض٠٠ ويشمل:
١٠ الفساد فى الأرض٠ ٢٠ الإختلال فى الأرض٠
٣٠ تدمير طبقة الأوزون٠ ٤٠ الاختلال البيئى٠
٥٠ الأعاصير والفيضانات٠ ٦٠ الأعاصير الاستوائية
٧٠ ظاهرة الاختلال الجوى ـ النينو٠ ٨٠ جداول بالاعاصير والفيضانات
٩٠ ظاهرة المطر الحامضى٠ ١٠٠ الاختلال والفوضى والدمار٠
١١٠ هل الغلاف الجوى مختل٠ ١٢٠ عالمية الاجراءات٠
١٣٠ قمة الأرض٠ ١٤٠ ميلاد حضارة٠

ـ سألت ابنتى: وماذا عن غزو الفضاء ؟!

ـ أجبت: يابنيتى! فى مدارسَتنا هذه (الأجندة) يحوى الباب الرابع علوم الفضاء فى القرآن٠٠ فغزو الفضاء فى العصر الحديث هو ناتج تطبيقى لتقدم العلوم، وهو مرادف للتجارب العلمية للعلوم التطبيقية التكنولوجية ـ بغض النظر عن النظم السياسية٠٠ والبشرية يشغلها ارتفاق كل مافى الارض: الزرع والحصاد، وتدبير الغذاء، والكساء والسكن والإنتقال، والنقل والرعاية الصحية٠ ويشغلها كذلك حصر الموارد وتصنيعها وتسويقها٠٠ والبشرية مهمومة

بنظم التعليم والتدريب والتعلم فى جميع بقاع الأرض، مضافا إلى كل هذا أن الفضول المعرفى، والمعارف الثقافية، عظمت من شأن دور الإعلام، والإتصال والتنمية والتغيرات الإجتماعية.. وأضحى المجتمع رهين فاعليات الأجهزة فى الإنتاج، والتعليم والبحث العلمى، والتدفقات التحويلية، ومقدرة الجهاز الإدارى فى الدولة على تنظيم المدخرات الوطنية وتوجيهها للاستثمار، وفتح اسواق تجارية والحفاظ عليها.. مجتمع متوافق الأدوار.. بين الأفراد والجماعات والقيادات وحتى السفراء والعلماء والحكماء والقادة.. وإن الذخائر الأدبية والإجتماعية والاخلاقية تثرى بالقديم.. وتثرى القديم فى آن واحد.. وأما العلوم التكنولوجية الحديثة فهى تبلى كل يوم وتتطور فى كل لحظة.. وعلى هذا فإن إستنهاض أمة إلى الطريق التكنولوجى.. قد لايأخذ إلا عدة سنوات قليلة!. والعكس من هذا فإن الإستنهاض الحضارى.. أو المسخ الحضارى.. يأخذ أجيال وأجيال لأن الأبعاد الحضارية تعيش فى وجدان الشعوب!. والتحدى وتحمل المسئولية قد يعجلا من الإستنهاض الحضارى.. أما الإفلات من براثن الثورة التكنولوجية، فيتأتى بالبساطة الإختيارية، وبلغة أهل الإجتماع النزول (التدنى) بحدود الإشباع: من مأكل وملبس ووسائط ترف، مع الإرتفاع قدر الطاقة بالمدخرات الوطنية وتوظيفها فى التعمير والتنمية.. مع توظيف الحكمة الإجتماعية فى موضعها الصحيح، بحسب أن الحكمة الإجتماعية لاتتقادم أبداً!!

- كل ماسبق يجعل من الأهمية بمكان.. وعلى الأقل فى الدول العربية مجتمعة.. دراسة القوى والثروات، ودراسة تقويم قوة الثروة أى قوة الموارد الطبيعية فى الأرض من مناجم ومزروعات، وثروات سمكية، وثروات حيوانية، وظروف وتغيرات مناخية.. وهذا يتطلب البحث فى طرق رصد وتوقع المحاصيل على المستوى الدولى، ومن الأقمار الصناعية التى تجوب العالم. والبحث عن ما يمكن التوسع فى زراعته، وكذا الأرض التى يمكن إستصلاحها وإستزراعها، وكذا المواقع البحرية التى يمكن زراعتها وصيدها.. وأشياء أخرى كثيرة كانت الأهداف الأساسية لبرامج الفضاء المعلنة.. ولنعيش ونتعرف على طريقة التفكير حول غزو الفضاء.. السبب والمهمة.. والهدف التنمية والقوة!!

- ففى سياق التقويم العلمى لمجهودات وكالة ناسا للفضاء كتب دون باترسون يقول: (إن الفوائد الجوهرية التى نتجت عن الجهود الأمريكية فى الفضاء هى

حتى الآن فوائد علمية. فقد إكتسبت علوم الفلك والفيزياء الشمسية والإستكشاف مكاسب جمة. وحدد الفلكيون وصنفوا عدداً كبيراً من مصادر الأشعة فوق البنفسجية وأشعة إكس وجاما. كذلك اكتشفوا نجوم الكواسار والبولسار وتوصلوا إلى نظريات جديدة أحياناً ما كانت تثير الجدل حول أصل وشكل قوانين الكون. وبالبحث فى الفيزياء الشمسية تكونت فروض حول تكوين وطريقة عمل الشمس وعلاقتها بباقى العناصر الفلكية. وقد قاد البحث فى الفيزياء الفضائية إلى اكتشاف أحزمة (فان ألن) والغلاف الأيونى المشع، وهالة الشمس الأيدروجينية، والبلازما، والمجال المغناطيسى، وصدمات الإلتواء، والذيل المغناطيسى والإشعاعات المحبوسة، والرياح الشمسية، والمجال المغناطيسى لما بين الكواكب. وإن اكتشاف القمر والكواكب قد عاد بكنز من المعلومات العلمية الجديدة.

وإن مقدار التقدم العلمى عن أول نشاط فضائى منذ ٣٢ سنة (١٩٦٠م - ١٩٩٢م) لانظير له فى الغالب فى أى فترة مماثلة فى التاريخ البشرى.. ومن سوء الحظ فإن هذا التقدم إحتاج إلى وقت طويل لكى يؤثر فى حياة رجل الشارع الذى لم يتحمس له.. وإن الوظائف الطاغية لاستمرار نشاط بحوث الفضاء من المحتمل ألا تكون علمية فى طبيعتها.. ولاشك أن البشرية تحتاج إلى نظرة جديدة شاملة حتى تستطيع التعامل مع مشاكل السكان والإسكان.. والإتصال والمواصلات.. والزراعة والصناعة.. والتعدين والطاقة مع تضاؤل الأرض والمعادن والماء، وكذلك مع البيئة الطبيعية التى تنقرض ببطء.. ولا شك أن مراقبة الأرض لابد أن تحدد هندستها وخواص السطح وصفاته، وخواص جسمها الديناميكى، وتفتح الطريق أمام فهم فيزياء الطقس والتنبؤ بالأحوال الجوية، والتغيرات الجوية والمناخية.. وإدارة المصادر الطبيعية والبيئية.. ذلك بالإضافة إلى شبكة الإتصالات العالمية الإقتصادية. وأقمار الأحوال الجوية، والتى تجمع معلومات عن السحب مما يساعد على تكهنات بالطقس تتسم بالدقة. وكما وإن المراقبة الحرارية ربما تساعد على التنبؤ بالزلازل المدمرة !.

- إن النظر والتدبر إلى الأرض من الفضاء يحقق العديد من الفوائد الإجتماعية والسياسية.. والجامعة العربية ومنظمة العالم الاسلامى مطالبون بقيام نشاط تنسيقى مشترك لدولهما فى مجال بحوث الفضاء.. والاسلاميون

مبشرون بالسيادة فى هذا المجال (لتركبن طبقا عن طبق)٠٠ ونحن نحن المخاطبون بالآية٠٠ ويشمل الباب الرابع على مايلى:

٠١ النظرة الفضائية فى القرآن٠	٠٢ ألم تر٠٠!!
٠٣ المجموعة الشمسية٠	٠٤ غزو الفضاء فى العصر الحديث
٠٥ الأقمار الصناعية٠	٠٦ مكوك الفضاء٠
٠٧ تلسكوب الفضاء٠	٠٨ برنامج مكوك الفضاء٠
٠٩ الأرصاد الجوية والفضاء٠	٠١٠ الأرصاد البيئية٠
٠١١ الأرض من الفضاء٠	٠١٢ الكون والعلم الحديث٠
٠١٣ المجرات الكونية والعلم٠	٠١٤ إعجاز رفع السماء والعلم الحديث٠
٠١٥ العلم ولغز أصل الكون٠	

- يابنيتى ! الدراسات الكونية تكليف إسلامى شأنها فى ذلك شأن باقى الدراسات التعليمية والتدريبية٠٠ ومن حيث أن إعمال آيات النظر والتدبر فى الكون والقرآن فريضة إسلامية٠٠ فينبنى على ذلك أن التفكير فريضة إسلامية٠٠ وبالتبعية فإن التعليم والتدريب والعمل وفى مختلف المهن والحرف والنشاطات المباحة شرعاً من ضمن الفرائض الاسلامية٠٠ والزراعة فريضة إسلامية٠٠ وإستصلاح الأراضى واحياء الموات والاستزراع فرائض إسلامية٠٠ والتجارة والتعدين والتنجيم والتصنيع فرائض إسلامية٠٠ والسياحة -٠٠ بقصد التعليم والتعلم وإستيعاب العبر والتعرف على الشعوب والنقل الحضارى٠٠ - فريضة إسلامية٠٠ والمدارسة التاريخية لحياة الأمم والشعوب والأفراد والجماعات وزمانهم وظروفهم وبيئاتهم فريضة إسلامية كذلك٠٠ وبإختصار شديد فإن كل النشاطات البشرية النافعة تنطوى تحت لواء التكليف الفرائضى الإسلامى !!

- أى أننا مكلفون بالإرتفاق والإنتفاع بكل ما فى الكون٠٠ وهذا لايتأتى إلا بدراسات كونية متعمقة٠٠ وإذا كانت آيات النظر والتدبر فى القرآن وردت بنصوص آمرة مسيراً ونظراً وإعمالاً لكل الحواس والشعور والمهارات وطاقات الأداء البشرى٠٠ فالأمر والحال كذلك تكليف إسلامى٠٠ لاخيار فيه٠٠ فى شتى مجالات الحياة٠٠ فى شتى المؤسسات البشرية المعروفة من حضانة الطفل ومدرسة القرية والمسجد والمعهد والجامعة٠٠ وفى مختلف أماكن العمل من أى موقع وحتى الأمم المتحدة ومجلس الأمن٠٠ وفى شتى بقاع الكون٠٠ اليابس

والبحر والنهر والمنجم والبئر والجبل والغلاف الجوى و أفلاك ومكونات الفضاء الخارجى !!

نحن مكلفون بالارتفاق والانتفاع من مختلف ظواهر سطح وباطن الأرض، والظواهر الفلكية، ومختلف ضروب نشاطات الحياة فى كون الله الفسيح !!

- وهذه المنظومة من التكاليف الإسلامية مسئولية الفرد والاسرة والمجتمع وولاة الأمور.. أى أنها مسئولية جماعية !! ومردودها إن سلباً أو إيجاباً جماعى بصفة الأساس ذاتى بالتبعية.. !! ومن خجل فإن موقعنا الإسلامى من هذا الفقه الحياتى تحت حدود الفقر فى كل شىء !!

- أما فقه العبادات والمعاملات فما أسهله وما أيسره وما أخفه فى الأداء.. مردوده ذاتى بصفة الاساس عام بالتبعية.. ومن أسف أننا حتى فى هذا فرق وشيع بين متشيع ومتصوف وسنى.. أشعلنا النار فى الجسد الاسلامى الضعيف.. حروب هنا وحروب هناك وتصفيات عابثة للمال والسلاح والموارد والشباب المسلم.. ومشاكل حدود بين الدول الاسلامية.. وإنقسامات يندى لها الجبين داخل الأوطان والمجتمعات وحتى فى الأسر المسلمة!!

- ومن الأسباب الرئيسية لكل هذه الظواهر هو غيبة الوعى العام عند المسلمين.. وتجزىء السنن الكونية والقرآنية.. وشل فعاليات سنن كونية مهمة من هذه السنن سنة التسخير والارتفاق والانتفاع.. وسنة الاجل.. وسنة التداول الحضارى.. وسنة التدرج فى المجال الاجتماعى والسياسى.. وسنة المدافعة !!

أزمتنا أزمة فكر.. فأين نحن من الحضارة الاسلامية؟؟.. وأين أين نحن من الحضارة المعاصرة؟؟ !!

- أزمتنا يا أحباب! هى أزمة ترك وإهمال للكونين الإلهيين.. كون الله المنظور.. وكون الله المسطور - القرآن الكريم !!

- أهملنا الموارد الكونية.. الانسان والأرض والماء والزرع والصناعة وإجادة الأعمال وأهملنا تعظيم القيمة للموارد المتاحة.. أهملنا تاريخنا وحضارتنا وكنوزنا فى المعارف الانسانية والاجتماعية.. أهملنا السياحة.. فى الاتجاهين.. نعرض ما عندنا، ونتعرف على ما عند الآخرين.. ننقل ونُطَوِر ونُحَسِن

ونُجَود !!

- أهملنا القرآن والسنة.. منهجا الكون الحياتى الكامل المتكامل.. ولنتأمل قول الله تعالى:

﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾ (المائدة: ٤٨) .. وقوله تعالى:

﴿وأنّ هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ (الأنعام٦: ١٥٣)

- أزمتنا ليست أزمة منهج.. أزمتنا - أزمة فهم للكون بكليته !!.. وهى أزمة فهم للقرآن والسنة بشموليتهما !!.. غرقنا فى فقه العبادات والمعاملات.. وأهملنا فقه الكون والحياة !!..

- ولما كان ذلك كذلك.. وجدت من النفع العام أن نطرح هذا الاطار فى بعض عناصر فقه الحياة.. بنظرات إطارية عامة بين الكون والقرآن والحياة!!

- وقد يرى البعض ونحن معهم - أننا فى مسيس الحاجة لغلق (أو تضييق) باب الإجتهاد فى فقه العبادات.. فللسلف والخلف فى هذا الفقه باع لايجارى ولا يضارع.. وعلينا وعلى شبابنا الإتباع لا الإبتداع !!

- ويرى البعض ونحن معهم - ضرورة التدرج فى المناهج الدينية فى فقه العبادات والمعاملات والأخلاق بما يتواءم مع سن المستهدف.. طفل، صبى، شاب، رجل - فى الحضانة والمدرسة والمعهد والجامعة.. فى الحقل والمصنع ومختلف الأعمال !!

- ويرى البعض ونحن معهم - ضرورة ربط فقه الكون والحياة وما نزل بخصوصهما من نصوص قرآنية وأحاديث شريفة بالعملية التعليمية والعملية البحثية على حد سواء بما يساعد على ترسيخ القيم الجوهرية الصحيحة فى نفوس الجميع وبطريقة ذاتية.. وحسية ملموسة.. موضوعات إتفاقية بين الجميع.. المسلم والمسلم، وبينهما وبين غير المسلم !!

- ويرى البعض ونحن معهم - ضرورة إعمال وتيسير السبيل لآيات النظر والتدبر القرآنية والكونية بكل الوسائل المتاحة.. صورة، رسم، شريط فيديو،

شريط سينما، عرض فى نادى، عرض فى معمل، عرض سينيمائى، عرض تليفزيونى.. رحلة ترفيهية، رحلة علمية، رحلة كشفية أو جولة.. دروس متخصصة، محاضرات عامة، ورش عمل، ندوات، مؤتمرات.. وسائط إعلام وتوعية الحضانة والمدرسة والجامعة، المسجد، النادى، الإذاعة، السينما، التليفزيون، الصحف والمجلات، والكتب، والمعارض !!

- ويرى البعض ونحن معهم - ضرورة تقوية وتدعيم إذاعة القرآن الكريم بما يسمح بالتوسع فى البرامج الكونية القرآنية.. وتوزيعها على خريطة البرامج اليومية.. مع التوازى فى التوسع فى البرامج الكونية القرآنية فى مختلف الإذاعات والقنوات التليفزيونية العاملة.. محلياً وفضائياً.. فى مصر وفى الوطن العربى.. بحسب وحدة الثقافة واللغة والدين والتأثير والتأثر !!

- ويرى البعض ونحن معهم - ضرورة إدخال الثقافة الكونية القرآنية - مادة أساسية فى المقررات الدراسية بالتعليم العالى الخاص والحكومى.. معاهد وكليات وجامعات !!

- ويرى البعض ونحن معهم - ضرورة أن تتولى مؤسسات التعليم والشئون الدينية والشباب والثقافة ووزارات الإنتاج والخدمات الاهتمام بنشر الوعى فى خصوصية الفقه الكونى القرآنى فى الجوانب التطبيقية فيما يخص نشاط جهته !! وصولاً إلى تكاملية النشاط !! وعلى أن تقوم مؤسسة التعليم والأزهر الشريف بالمسئولية التكاملية لإعداد معهد علمى يتخرج منه جيل من المدرسين المتخصصين فى التنشئة على الوعى الكونى وفقه الحياة.. تكون مهمتهم تدريس هذه الكنوز الكونية القرآنية الاتفاقية فى إطار متكامل حتى نهاية التخرج من المدرسة أو الجامعة !!

- إذ ربما نُقَرِّبُ بموضوعات الفكر الكونى الحياتى القرآنى.. الفجوة بين فرقاء الاختلاف حول فقه العبادات، ونجمعهم حول مائدة إتفاق حياتية كونية قرآنية ؟!

- ناهيكم أن الاهتمام بالدراسات الكونية القرآنية تعتبر أداءًا لتكليف معطل ومشلول فى واقعنا الاسلامى.. وهو إعمال فقه الحياة.. وربما تدفع هذه النوعية من الدراسات بنا الى التلاحم مع علوم وفنون وحرف العصر !!

- والرواد والفقير معهم.. إنما نحاول وضع العلوم والمعارف التطبيقية على أطراف الموائد القرآنية.. تتبدل الحواف المعرفية البشرية وتتغير مع تقدم الزمان.. ويبقى القرآن شاباً جديداً متجدداً معجزاً وحتى قيام الساعة !!

- أخيراً لعل هذا العمل ومضة نور على طريق فقه الحياة وإرادتها.. ولعله إطار عقلى إيمانى إتفاقى بين كل البشر مهما إختلفت نزعاتهم وثقافاتهم وحتى أعمارهم ومهنهم.. ولعله نسيج تكاليف عقلية حياتية بالانتفاع والارتفاق بعناصر الخلق الكونى، وصولاً لإعمار الكون وسعادة الإنسان وعزة الشعوب..

على الله قصد السبيل.. والله الموفق والمستعان،

دكتور عبد الهادى ناصر

شبين الكوم.. ديسمبر ١٩٩٣م